ق والقرآن المجيد

مجلة فصلية تعنى بالشأن القرآني
تصدر عن وحدة الإصدارات
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٧٦/ السنة الحادية عشر
١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾

القرآن الكريم.. لسان الغيب في عالم الشهادة

مجلة فصلية تعنى بالشأن القرآني
تصدر عن وحدة الإصدارات/ قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٧٦ / السنة الحادي عشر / ١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م

٦ المشاركة في إقامة محفل قرآني في قضاء آمرلي
١٦ الجاهلية تستردّ أنفاسها!
٧ الختمة القرآنية الرمضانية في الصحن الكاظمي
٢٤ شواهد قرآنية في بيان معنى التوحيد
٩ جلسات قرآنية تعليمية للفتيات
٣١ ميثاق الله مع العباد

المشرف العام
م. جلال علي محمد

رئيس التحرير
الشيخ عدي الكاظمي

سكرتير التحرير
سمير جميل الربيعي

التدقيق اللغوي
عامر عزيز الأنباري

محرر الأخبار
حسين علي السعدي

التصميم والإخراج الفني
زيد عبد الأمير موسى

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية
ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣
زورونا: www.aljawadain.org

أعلن حربك على الأيام

حاصل ما يجري هذه الأيام هو نتاج تراكم جزئيات صغيرة أهملناها وأغفلنا عنها عيناً، نحسبها أموراً هيّنةً ولماً صغيرةً لا تحدث أثراً بيناً في مستقبلنا القريب أو البعيد، وكنا مخطئين في ذلك، إذ لا شيء في هذا الكون مهما صغر وتصاغر لا بدَّ أن يحدث أثراً ما في حركة هذا الكون، وقد بانت ملامح هذا التهاون في انتشار الخطيئة واستفحال الذنوب المنكرة، واستطالت يد الخطيئة بعدما ضعفنا رادع الدين الوجدان الحياء ، وسبب في ذلك نحن، ألسنا قد أهملنا حركة الإصلاح في أنفسنا وتغيير حالنا الحاضر إلى خير منه، وركنا إلى الدعة والكسل ، اتكالاً على ضمان الأيام في تغيير واقعنا المرير، بئس الرهان على ذلك، والله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1].

الغرير وحده هو من يتكل على الأيام، ويبلغ به التسويف أن يسند إليها ظهره ويطمئن لها، رغم عدم استقرارها على حال، ولم تدم لأحد من قبله ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[2]، وكان حري به أن يوجف عليها خيله وركابه استعداداً لمنازلتها ومقارعتها والتغلب عليها، لا أن يعقد معها صفقة السلام راكناً لها مطمئناً لحالها ممنياً النفس منها بالمستحيل.

والأدهى والأنكى من ذلك أننا رغم معرفتنا بها وما خبرناه عن تقلباتها وعظم خطرها وجليل وقوع المكاره منها، لكننا لا نبالي بخطرها المحدق بنا من كل جانب، والمشكلة أنها تنصفنا من نفسها فهي تعطينا في كل يوم عظةً من أنفسنا وعبرة، وكأن لسان حالها يقول لنا ها أنا ذا أكابدكم الحياة، وأسلبكم الراحة فلا فقيركم مرتاح ولا غنيكم مرتاح، إن أعطيتكم باليمين لا تلبث شمالي أن تأخذه، وما آخذه أكثر مما أعطيه، عطائي غير جزيل وشري غير مأمون، أبدد شملكم وأفرق جمعكم، وأرمي دينكم بأحجاري فأي عدو أعدى مني؟

إن تركنا للأيام تستعدي هكذا من غير تغيير وتبديل، وخلعنا عن أنفسنا أعنَّة العزم والهمَّة في مكافحتها بالجد والاجتهاد فلا يتوقع بعد ذلك تبدل الحال، ولا يؤول المآل إلى الأفضل، فما أشبه اليوم بالأمس إن لم يكن أسوء منه! فنغدو مصداق قول رسول الله ﷺ: (لا يأتي عليكم عام ولا يوم إلا والذي بعده شرٌّ منه حتى تلقوا ربَّكم)، وأيُّ شر أعظم من الذي نلاقيه في أيامنا هذه، ألم تر أن المنكر يرتكب في وضح النهار، ولا أحد يستطيع أن ينبس ببنت شفة خوفاً وإشفاقاً على نفسه من تعاظم قوة الشر وأهله، وضعف شوكة المؤمنين وعزلتهم؟! ألم يصدق عندك قول رسول الله ﷺ واصفاً المتمسك بدينه في آخر الزمان (كالقابض على الجمرة) من شدة ما يعاني من عزلة؟!

إنّ هذه العزلة التي نعيشها اليوم نحن الذين أوجدناها، بتركنا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3] وبتقبلنا الحال المفروضة علينا من دون أن نناهضها أو نحاول تغييرها، بالوسائل المتاحة لنا، فبئس الصنيع صنيعنا والله موبِّخنا بما هو أغلظ وأشدّ من توبيخ مرتكبي المعاصي، ومبتلينا بأعظم البلاء وأكثره شراً، وهو الذل من بعد العز (يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من شأنه).

نعوذ بالله من أن يلبسنا الله لباس الذل بعدما أعزنا بالإسلام.

١- سورة الرعد، الآية ١١

٢- سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

٣- سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

سكرتير التحرير

حفل اختتام البرامج القرآنية الرمضانية

التي أقيمت في الصحن الكاظمي الشريف

تزامناً مع استكمال النشاطات القرآنية التي شهدتها رحاب الصحن الكاظمي الشريف، والبرامج التعليمية للنساء والرجال، أقامت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة وبرعاية مباركة من قبل أمينها العام خادم الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام الدكتور حيدر حسن الشمّري، حفل تكريم المشاركين في تلك المحافل الإيمانية والجلسات القرآنية التعليمية من الأساتذة والقراء والقائمين عليها، تحت شعار حديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:(أشراف أمتي حملة القرآن)، بحضور كوكبة من أساتذة الدورات والمتخصصين بالشأن القرآني وجمع من الزائرين الكرام.

استهل الحفل بتلاوة قرآنية مباركة شنّف بها أسماع الحاضرين قارئ العتبة المقدسة الخادم علي ماهر، بعدها القيت كلمة العتبة الكاظمية المقدسة، وألقاها عضو مجلس الإدارة المهندس جلال علي محمد، جاء فيها قائلاً: (لا يمكن تجاهل الأثر العميق الذي يتركه القرآن الكريم في حياة المؤمنين حيث يمثل مصدرًا دائمًا لتوجيه الاخلاق والسلوك، إذ يحوي على دلائل وإرشادات لجميع جوانب الحياة، فهو يختص بالمسائل العَقَدِية والأحكام الشرعية والأخلاق والمجتمع والقيادة والتعامل السلوكي والعلوم وغيرها؛ لذلك يُعَدُّ القرآن الكريم رؤية إلهية كاملة تطبق في حياة المؤمنين لتوجيههم نحو الطريق الصحيح.

وأضاف: نود أن نعبّر عن فرحتنا وامتناننا العميق لكل من شارك وشجع في هذه الفعاليات القيمة فقد كان شهر رمضان المبارك كعادته مليئاً بالخير والبركة وتعزيز العلاقة مع الله سبحانه وتعالى، من خلال الصيام والقيام وتلاوة كتاب الله العزيز.. إذ شهدنا تنظيم العديد من الأنشطة المبهجة التي تعزز حب القرآن الكريم، وفهمه وتلاوته، التي شارك فيها مجموعة كبيرة من أبنائنا وبناتنا.. وشكلت جلسات القراءة الجماعية والحلقات القرآنية فرصة لتبادل المعرفة والتأمل في آيات الكتاب الكريم.. ونحن فخورون بجميع الأفراد الذين أتاحوا الفرصة لأبنائهم ولشبابهم.. رجالاً ونساءً للمشاركة في الفعاليات من جوار الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام.

ونود أن نشكر كل من ساهم في تنظيمها وإنجاحها.. كما نشكر جميع المعلمين والمشرفين والمتطوعين الذين أسهموا في

تأمين فعاليات مثمرة كما نتوجه بالشكر الخاص للأهالي والأسر على دعمهم المستمر وتحفيزهم لأبنائهم للمشاركة والاستفادة من هذه النشاطات ..)

كما شهد الحفل مشاركة لفرقة فتية الجوادين، وعرض مقطع مرئي لنشاطات مركز القرآن الكريم خلال شهر رمضان المبارك من إنتاج قناة الجوادين التابعة لشعبة الإعلام، واختتم الحفل بتوزيع الشهادات التقديرية وتكريم الأساتذة الذين قاموا بإدارة الفعاليات والنشاطات القرآنية التي شهدتها العتبة الكاظمية المقدسة خلال طيلة أيام شهر رمضان المبارك، فضلاً عن تكريم قرّاء مئذنة الإمامين الكاظمين عليهما السلام لدورهم في إحياء ليالي الشهر الفضيل.

إقامة الختمة القرآنية الرمضانية للنساء في شهر ربيع القرآن

انطلاقاً من حديث النبي الأكرم محمد ﷺ : (إنّ لكل شيءٍ ربيعاً وربيع القرآن هو شهر رمضان) شهدت العتبة الكاظمية المقدسة أنشطة قرآنية متميزة برعاية مباركة من قبل أمينها العام خادم الإمامين الكاظمين الجوادين الدكتور حيدر حسن الشمّري، ومن بينها إقامة عدد من المحافل القرآنية من قبل مركز القرآن الكريم الذي سعى خدمته من خلالها لنشر الثقافة القرآنية الأصيلة وبغية التدبّر في آيات كتاب الله العزيز، وتعلّم أحكامه المباركة، حيث كان للنساء نصيب من تلك المحافل المُباركة، تمثلت في إحياء الشهر الفضيل بتراتيل القرآن الكريم في جلسات الختمة القرآنية اليومية الخاصة بالنساء، التي أقيمت في رواق السيدة آمنة بنت وهب عليها السلام، وقرأت في تلك الجلسات جزء واحد من أجزاء القرآن المجيد في كل يوم ، بإشراف الحافظة السيدة بتول جبار وعدد من المُعلمات المتخصصات بالشأن القرآني، وسط حضور واسع وتفاعل كبير من قبل الزائرات الكريمات.

المشاركة في إقامة محفل قرآني في قضاء آمرلي

نظّمت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة وضمن فعاليات الأسبوع المهدوي في عامه الثالث وبالتعاون مع دار القرآن الكريم في قرية جرداغلي/ حسينية السادة الموسويين، في قضاء آمرلي محفلاً قرآنياً بحضور عدد من الأساتذة والطلبة والمهتمين بالشأن القرآني، فضلاً عن وجهاء وأهالي المنطقة.

وتضمنت فعاليات المحفل باقة من التلاوات القرآنية المباركة بمشاركة كلّ من: القارئ موسى الرديني، والقارئ مجاهد نجاة، تعطرت فيها أجواء آمرلي الصمود ببركات الذكر الحكيم، لينهلوا من فيوضات الرحمة الإلهية معطرة بالنفحات القدسية للإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام، وسط حضور وتفاعل كبير من قبل الأهالي القضاء الكرام لنيل الثواب والأجر العظيم.

الصحن الكاظمي الشريف
يشهد الجلسات القرآنية التعليمية الرمضانية للرجال

أقامت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة/ مركز القرآن الكريم الجلسات القرآنية التعليمية للرجال واليافعين خلال ليالي شهر رمضان المبارك بإشراف القارئ الشيخ سلام الرماحي، وتضمنت تلك الجلسات قراءة جزء كامل من المُصحف الشريف في كلّ ليلةٍ من ليالي الشهر الكريم، والاستماع للقرّاء المشاركين وتقديم كلّ ما يهمّهم من ملاحظات تخصّصية قيّمة تساعدهم في تطوير أدائهم وتحسينه وصولاً إلى التلاوة المُتقنة.

وتأتي إقامت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة لهكذا نشاطات قرآنية مباركة سعياً منها لزَرع القيم السامية، والأخلاق الفاضلة في نفوس أبنائنا وتحصينهم بثقافة القرآن الكريم، وعلوم أهل البيت عليهم السلام، كونها جزء من عقيدتنا وتاريخ مجتمعنا الإسلامي.

الصحن الكاظمي الشريف
يزدان بإقامة الختمة القرآنية الرمضانية المرتلة

ازدانت الرحاب الطاهرة للصحن الكاظمي الشريف بحلول شهر الطاعة شهر رمضان المبارك، الذي خصه الله تعالى بنزول رحمته وعفوه وغفرانه، وفي هذه الأجواء التي ملئت بعبق الإيمان وربيع القرآن، أقامت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة / مركز القرآن الكريم جلسات الختمة القرآنية المرتلة، بمشاركة قارئ العتبة الرضوية المقدسة الحاج سعيد طوسي، وقرّاء العتبة الكاظمية المقدسة وباستضافة مجموعة من قرّاء المؤسسات والمراكز القرآنية في بغداد.

وشهدت الجلسات حضور كوكبة من خدّام الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام وزائريهما الكرام، للمشاركة في الختمة القرآنية والتزوّد ببركات الذكر الحكيم، ونيل الثواب العظيم في بيت من بيوت الله، وباب من أبواب قضاء الحوائج.

إقامة مَحفل القرآني اليومي
في رحاب الصحن الكاظمي الشريف

أقامت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة / مركز القرآن الكريم، محفلاً قرآنياً يومياً في رحاب الصحن الكاظمي الشريف ضمن البرنامج العبادي والديني السنوي المخصّص في شهر رمضان المبارك بمشاركة قارئ العتبة الرضوية المقدسة الحاج سعيد طوسي، وعددٍ من قرّاء العتبة الكاظمية المقدسة فضلاً عن استضافة قرّاء المؤسسات القرآنية في محافظة بغداد، حيث صدحت حناجرهم بتلاوات قرآنية مفعمة بأجواء إيمانية وروحانية شنّفوا بها مسامع الحاضرين.

كما شهدت جلسات المحفل اليومي فقرة دينية توجيهية بعنوان (إضاءات قرآنية) بمشاركة كل من: فضيلة الشيخ منير العامري، وفضيلة الشيخ عماد الكاظمي، وفضيلة الشيخ عَدِي الكاظمي، وفضيلة الشيخ قاسم الخفاجي، سلطوا فيها الضوء على جملة من الشذرات الإيمانية والمعاني القرآنية وما يتعلق منها بنفحات شهر رمضاء المبارك.

يذكر أن الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة وضعت خطة خاصة لإحياء الشهر الشريف بما يتناسب مع قدسية وروحانية أيامه ولياليه المباركة، إذ هيّأت خلالها جميع المستلزمات من الناحية التنظيمية والخدمية، واستنفار جهود أقسامها لتقديم أفضل الخدمات للزائرين الكرام.

تتويج قارئ العتبة الكاظمية المقدسة

الدكتور رافع العامري بوسام الإبداع العلمي

وسط حضور واسع لشخصيات علمية وأكاديمية ونُخب من الأساتذة والمهتمين بالشأن القرآني، كرّمت جامعة ديالى / كلية العلوم الإسلامية، قارئ مئذنة الصحن الكاظمي الشريف، والتدريسي في كلية الإمام الكاظم عليه السلام، الدكتور رافع العامري بوسام الإبداع العلمي، ضمن فعاليات المؤتمر العلمي الثالث الموسوم: (العلوم الإسلامية، مناهجها، وقضاياها المستجدة، وأثرها في التماسك المجتمعي)، الذي اقيم تحت شعار: (العلوم الإسلامية أساس لبناء الإنسان)، وذلك تقديراً لمسيرة هذه الشخصية القرآنية، التي طالما صَدَحَ صوتها لعقدين من الزمن في رحاب الإمامين الكاظمين الجوادين، وفي الكثير من المحافل المحلية والدولية، وإسهامه في إثراء المعرفة البحثية القرآنية.

وبهذه المناسبة تقدمت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة بالتهاني والتبريكات إلى الدكتور رافع العامري، متمنين له دوام التوفيق والسداد في مسيرته القرآنية المباركة.

جلسات قرآنية تعليمية للفتيات في الصحن الكاظمي الشريف

شهدت رحاب الصحن الكاظمي الشريف إقامة الجلسات القرآنية التعليمية الرمضانية للفتيات، نظّمها مركز القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة، وبإشراف مُعلمة القرآن الكريم السيدة حنان علوان الموسوي، وبمشاركة نُخبة من الطالبات والحافظات في الدورات القرآنية للعتبة الكاظمية المقدسة.

وشهد البرنامج الجَلَسات قراءة وتحفيظ أجزاء من القرآن الكريم، فضلاً عن تعليمهن أحكام التلاوة وبعض المسائل الفقهية، والعقائدية، والأخلاقية، والتطرّق إلى ذكر الأئمة المعصومين عليهم السلام وسيرتهم ومسيرتهم المباركة، والإشارة إلى المفاهيم الإسلامية والإنسانية والاستفادة من المحطات الروحية للشهر الفضيل، وانعكاس أثره على سلوك بناتنا من خلال تنظيم هذه الدورات القرآنية التربوية.

نشاطات قرآنية متنوعة

في رحاب العتبة الكاظمية المقدسة

من ضمن النشاطات المتواصلة لمركز القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة، وسعيه الدؤوب لنشر الثقافة القرآنية وبثها في شرائح مجتمعنا الكريم كافة، أقام المركز جُملة من النشاطات والبرامج القرآنية التعليمية وبعض الدروس الفقهية والعقائدية والأخلاقية في مختلف المجالات وبمشاركة نخبة من الأساتذة والقراء والحفظة وبحضور أعداد من الطلبة الأعزاء من كلا الجنسين وبمختلف الاعمار، والتي كانت على النحو الآتي:

جلسة قرآنية لوفد دار الوحي القرآنية من النجف الأشرف في العتبة الكاظمية المقدسة.

الاختبارات الدورية للحفظة الأولاد في مركز القرآن الكريم

تكريم المتبركات بالإشراف على الختمات القرآنية الإلكترونية التابعة لدورات مركز القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة.

الاختبارات الدورية لحافظات مشروع حفظ القرآن الكريم خلال أربع سنوات.

استقبال نخبة من فتياتنا ممن بلغن سن التكليف الشرعي في رواق السيدة آمنة ﷺ.

اختبارات وحدة التبليغ النسوي لاختيار حافظات دعاء الافتتاح ضمن مسابقة الحفظ للطالبات في مركز القرآن الكريم.

دورة الحفظ الحضورية للبنين ـ معلم الدورة مصطفى الدباغ

دورة الحفظ الحضوري للبنين ـ معلم الدورة الحافظ مكي السعدي

دورة الأنغام والأداء التطويري بالطريقة العراقية ـ معلم الدورة محمد الربيعي

دورة أحكام التلاوة والتجويد للنساء ـ معلمة الدورة آمال عبد الكريم

دورة أحكام التلاوة والتجويد للنساء ـ معلم الدورة الدكتور رافع العامري

دورة أحكام التلاوة والتجويد للرجال ـ معلم الدورة الدكتور رافع العامري

دورة القراءة التحقيقية للنساء ـ معلم الدورة حيدر سعد الكاظمي

دورة القراءة التحقيقية للرجال ـ معلم الدورة حيدر سعد الكاظمي

دورة العقائد وتفسير القرآن للرجال ـ معلم الدورة الشيخ عدي الكاظمي

دورة الحفظ للنساء ـ معلمة الدورة الحافظة غفران ليث

دورة الحفظ للفتيات ـ معلمة الدورة الحافظة نور جاسم محمد

دورة الحفظ الحضورية للنساء ـ معلمة الدورة الحافظة ميادة عبودة

دورة الحفظ الحضورية للنساء ـ معلمة الدورة الحافظة بتول جبار

دورة المقامات بالطريقة المصرية ـ معلم الدورة القارى علي ماهر

دورة القراءة التطويرية للنساء ـ معلمة الدورة سوسن محمد

دورة القراءة الصحيحة ـ معلم الدورة القارئ فراس الطائي

دورة القراءة الصحيحة ـ معلم الدورة السيد عمار الموسوي

دورة القراءة الصحيحة للنساء ـ معلمة الدورة جميلة دحام

دورة القراءة الصحيحة الحضورية للنساء ـ معلمة الدورة عارفة كمال محمد

دورة القراءة التحقيقية والإجازات للرجال ـ معلم الدورة حيدر سعد الكاظمي

مراسم قراءة دعاء كميل بإشراف الاستاذة الحافظة بتول جبار

دورة فتية الجوادين ﷺ ـ معلم الدورة القارى باقر أحمد سهر

دورة علوم القران الكريم للنساء ـ معلمة الدورة إسراء حسين

دورة حفظ الحضورية للنساء ـ معلمة الدورة الحافظة آمال مظفر

دورة تفسير القرآن الكريم للنساء ـ معلمة الدورة نبأ عبد الكريم

دورة تفسير القرآن الكريم ـ معلمة الدورة الدكتورة دنيا جميل محمد

محفل ترانيم السماء الأسبوعي للنساء في رواق السيدة آمنة بنت وهب عليها السلام

ملتقى الطفولة الأسبوعي في الصحن الكاظمي الشريف

الختمة القرانية الرمضانية للنساء في مركز القرآن الكريم

دورة التلاوة الجماعية لفتية الجوادين عليهما السلام ـ معلم الدورة باقر أحمد سهر

بداية النهاية

قال تعالى في محكم الكتاب العزيز: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾. سورة الإسراء، الآية: ١٠٤.

❁ الشيخ طه حافظ

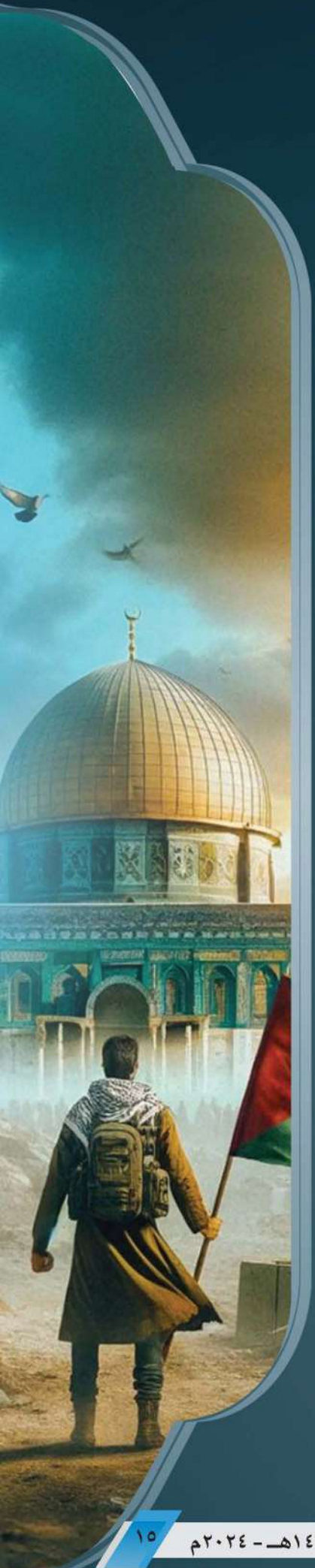

الرؤية الأولى

من السنن الإلهية تأييد الله تعالى أوليائه للقضاء على المستكبرين والطغاة، وأن الله تعالى إذا وعد وقع حتماً، وهذا لا يعني أن الإنسان يقف منتظراً الوعد الإلهي دون السعي والجهاد لرفع الظلم والحيف.

يفهم من الآية الكريمة أنّ لبني إسرائيل وعدان من الله تعالى وأشارت الآية موضوع البحث إلى الوعد الآخر أي الثاني، ويفهم أيضاً أنّ بني إسرائيل سكنوا الأرض متفرقين في بقاعها، وذلك لإطلاق كلمة الأرض وعدم تخصيصها بأرض معينة. وذلك في قوله تعالى: ﴿...اسْكُنُوا الْأَرْضَ...﴾ فالخطاب موجه لبني إسرائيل من بعد موسى اسْكُنُوا الْأَرْضَ كلّ الأرض متفرقين.

الرؤية الثانية

العلو والفساد من خصال أهل الدنيا وطلابها؛ الآيات الأُول من سورة الإسراء تُخبر أنّ هناك وعداً إلهياً لبني إسرائيل بأن يعلوا في الأرض مرتين يرافقه فساد في المرتين. ثم إنّ الفساد يشمل الفساد النفسي (قتل الآخرين)، وفساداً ثقافياً، وفساداً اقتصادياً، وعسكرياً، وسياسياً، وذلك لأنّ كلمة (لتفسدنّ) في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾[1]، جاءت على نحو الإطلاق.

الرؤية الثالثة

قد بينت الآيات الكريمة من سورة الإسراء أن هناك ثلاثة أمور يجب أن تتوافر كي تتحقق نهاية الكيان الصهيوني ونهاية حكومته واستكباره وهي:

١- إقامة دولة وحضارة بوعدين وعلوّين.

٢- هناك فساد كبير يصدر من العلوّين.

٣- وهذا العلو والفساد لدولة الكيان الإسرائيلي يكون على أرض فلسطين. فمتى ما تحقّقت هذه الأمور جاءت نهاية هذا الكيان. ثم إنّ العلوّ الأول قد تحقق في الماضي البعيد، أما العلو الثاني لم يتحقق إلى يومنا هذا.

الرؤية الرابعة

العلوّ الأول حدث في الماضي البعيد، وذلك عندما سلط الله تعالى بخت نصر على اليهود في فلسطين وسباهم وساقهم أسرى إلى بابل؛ وذكره المؤرخون بأنه السبي البابلي، وبعد انتهاء السبي تفرقوا في الأرض دون الرجوع إلى أرض فلسطين. فانتشروا في الأرض في بلدان متفرقة.

الرؤية الخامسة

قد يكون بداية الفساد الثاني والعلوّ للكيان الإسرائيلي قد بدأ في سنة ١٩٤٨م، وذلك عندما أعلنت إسرائيل دولة ذات سيادة في فلسطين. وإنّ أحد مصاديق الآية الشريفة ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾، وهو عندما يحين زمان الوعد الآخر، يجتمع اليهود في فلسطين قادمين من مشارق الأرض ومغاربها، وإذا كان معنى اللفيف القدوم من كلّ مكان فقد تحقّق، وذلك عندما استوطنوا الأراضي الفلسطينية بعد أن كانوا ساكنين دولاً عديدة. وإذا كان معنى اللفيف يعني الجماعات من قبائل شتى، فهذا أيضاً حصل بعد هجرة يهود السفارديم، وهم اليهود الشرقيون -من أصول أندلسية-، ويهود الأشكناز وهم ما يعرفون باليهود الغربيين -يهود الغرب وأوربا-. أما بنو صهيون، والمشتقّ منها كلمة الصهاينة، هم مجموعة متطرفة من اليهود يزعمون أنّ فلسطين هي وطنهم الأصلي، وأن هيكل سليمان يقع تحت المسجد الأقصى. وعلى كلّ حال، إن الوعد الإلهي للعلو والفساد الآخر قد يكون أيضا تحقّق، ولم يبق من تحقق الأمور التي ذكرت في الرؤية الثالثة إلا العباد المخلصون الذين يحررون فلسطين العربية ويقضون على اليهود بأجمعهم. إنّ وعد الله حقّ وإنّ الساعة آتية لا ريب فيها. وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

١- سورة الاسراء: الآية ٤.

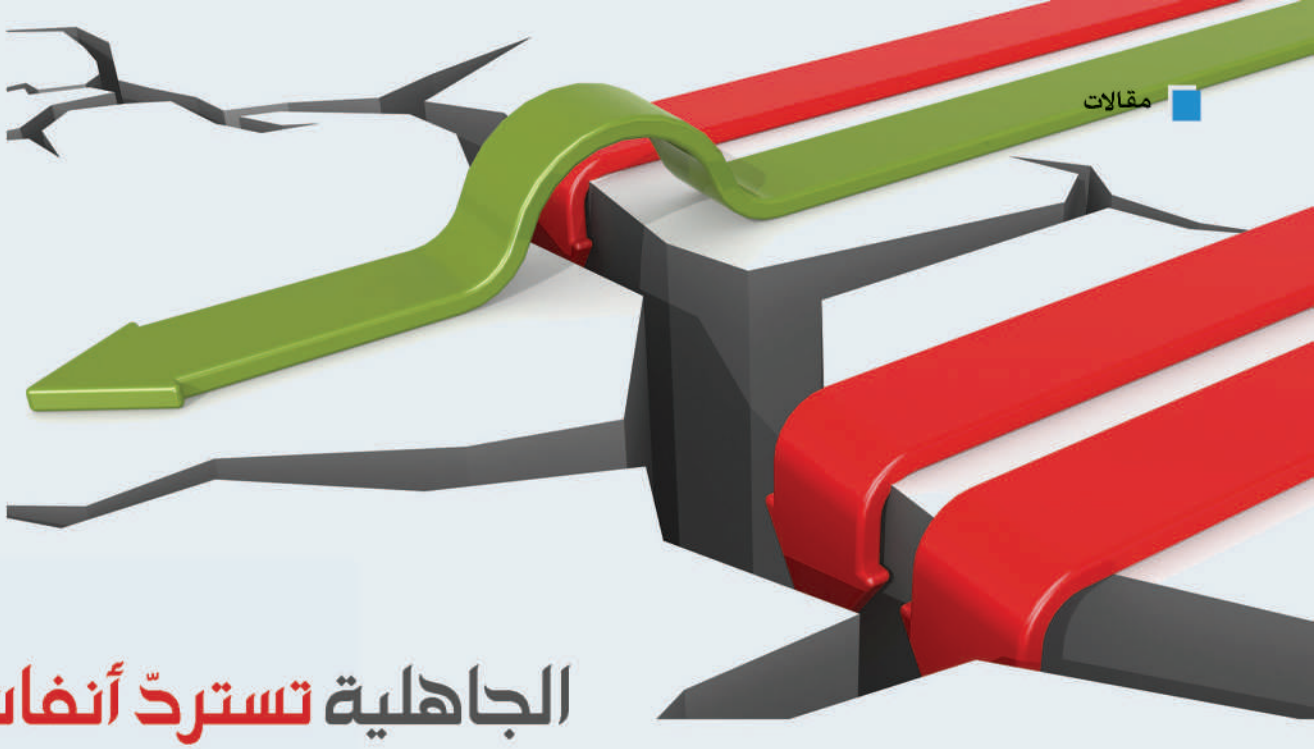

الجاهلية تستردّ أنفاسها!

لا أدري إلى أين نغذّ الخطى ونحثّ السير؟ ترى أفي عالم الوهم والخيال نحن أم في عالم الحقيقة والواقع المحض؟! أترانا نتقدم إلى الأمام أم نتراجع إلى الوراء ؟! بلى يبدو كأنّنا أخذ يرتدّ بنا الزمن على أعقابه فنعود القهقرى، إلى الخلف جداً حيث الجاهلية العمياء، وحيث الزمن المغبّر، والبطش والفتك، وسفك الدماء وسبي الاماء، ووأد البنات، وحشية وبداوة؛ ولكن بلون مغاير ووجه مقنع، يخفي وراءه جاهلية جديدة.

❁ عامر عزيز الأنباري

ليس مقبولاً أن تتحول الحياة إلى غابة مكتظة بالوحوش والأفاعي، ليس مقبولاً أن يصبح الافتراس سمة آدمية تُخرج الآدميين عن آدميتهم.

لا يمكن للحياة ان تستمر هكذا فوضى ومزيج من ألوان الانحطاط. القوي فيها يأكل الضعيف، ومن له تسع وتسعون نعجة لا يبقي شيئاً لمن له نعجة واحدة.

إصرار على الشرك وعبادة الشيطان

لقد أنعم الله تعالى على الناس بنعمة الإسلام والهداية، بعد ما كانوا عليه من الشرك والضلالة بالله والكفر بأنعمه تعالى، فامر ان الا يشركوا به ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾[1]، وألا يعبدوا إلا إياه ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ..﴾[2]، وألا يعبدوا الشيطان، فهو عدوهم الأول ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[3]، إلا أنّ الجاهليين الماضين والجدد في عالم اليوم، يصرون على الإشراك به؛ وعبادة الشيطان وهو عدوّهم من حيث يشعرون أو لا يشعرون! ويتّبعونه في كل حركة وسكنة، وهو يمنّيهم ويعدهم بالأوهام وطول الأمل ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا﴾[4].

نكران عذاب القبر والبعث والنشور

من السمات الأبرز للمجتمع الجاهلي قبل الإسلام -كما هو معروف-هو الكفر والإشراك بالله تعالى، ونكران عذاب القبر، والبعث والنشور. فليس في اعتقادهم أيّ من ذلك، فلا حساب ولا عقاب، ولا كتاب يقرأ، ولا صحف تنشر ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[5]. جاء أحدهم إلى النبي ﷺ حاملاً عظماً بالياً ففتته بيديه ساخراً من الاعتقاد بالبعث والنشور، هذا هو منطقهم آنذاك واعتقادهم، فهي جاهلية عمياء بكل ما تعنيه هذه الكلمة.. ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[6].

وصور النكران والكفر تلك، تتكرر من جديد ولها أنماط جديدة في مجتمعاتنا اليوم، تكاد تكون مشابهة رغم الفارق الزمني. وهي آخذة بالازدياد، فهنالك من يجهر بإلحاده ويتمنطق في إشهار كفره، ويجد آذاناً صاغية، ويجد أيضاً -وللأسف- من يروّج له دون خوف أو خشية، وخصوصاً عبر القنوات المشبوهة ومِنصّات التواصل الاجتماعي، وفي المقابل من يردّ ويفند دعواتهم، غير أن بعض المنتديات التي تدّعي الثقافة، أو أسواق بيع الكتب والمقاهي التراثية الشهيرة والمعروفة التي تكتظ بالمثقفين ومدّعي الثقافة، وأسواق بيع الكتب وشعراء وأدباء وإعلاميون تطرح فيها الآراء الإلحادية بكل جرأة من قبل الزنادقة الذين لا يجدون من يردّ عليهم إلا ما ندر، وهم يشمّرون عن

١- سورة النساء، الآية ١١٦.
٢- سورة الإسراء، الآية ٢٣.
٣- سورة ياسين، الآية ٦٠.
٤- سورة النساء، الآية ١٢٠.
٥- سورة المؤمنون، الآية ٣٧.
٦- سورة الواقعة، الآية ٤٧.

سواعدهم ويدعون بأفكارهم الضالة إلى جاهلية جديدة على مرأى ومسمع الجميع، في بلد هو مرتع الفكر الديني والعقائدي وموئل للثقافة والمعرفة تفتخر أغلبيته بولائها لائمة أهل البيت عليهم السلام.

مجلات الخمور تتسع رقعتها

من الممضّ المؤلم أننا حين نقلب أنفسنا ووجوهنا ذات اليمين وذات الشمال؛ نجد الويل والثبور وما يقرح العين ويدمي القلب، فمثلاً حانات الخمور وبيعها كانت مشاعة في مكة عند الجاهليين ، وهذه الصورة نجدها تتكرر في زماننا هذا، فلقد أخذت بالانتشار شيئاً فشيئاً في الأحياء بدلا من انزوائها فيما مضى في أماكن محددة ولا يرتادها إلا الزبون ، فأخذت رقعتها الجغرافية بالاتساع، فما عاد بيعها مقتصراً في الحانات والنوادي الليلية ، بل حتى تعدى إلى المحال التجارية و(السوبر ماركت)، ومن الغريب أصبح وجودها لا يشكّل حرجاً أو استغراباً لدى كثير من الناس، من بعد أن كان ذلك أمراً مُحالاً ومرفوضاً اجتماعياً، وكأنّ الخمر ليست رجساً نهانا الله تعالى عنه ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ..﴾[٧].

ذوات الرايات.. نواشط مدنية!

أما البغاء في الجاهلية، وخصوصاً البغايا المبرزات (ذوات الرايات الحمراء)، ممن اشتهرن في أحياء مكة، فلقد صارت لهن أنماط مشابهة في مجتمعاتنا وبعناوين وأسماء مرشّقة، فبدلاً من أن تنعت إحداهن بالعهر والبغاء؛ صارت تسمى فاشينستات وبلوكرات، أو نواشط مدنية! وأصبح للواحدة منهنّ سوق رائجة لدى وسائل الإعلام الهابط، ولها ما لها من الامتيازات، فهي تأمر وتنهى، وتتحكم! وصارت لمن تتعرض منهن للأذى أو القتل مثلاً قضية صاخبة يدعمها الرأي العام فهي مظلومة -وإن كنا لا نبرر ما جرى من حوادث قتل واغتيالات حصلت مؤخراً فهي سلوكيات منافية للقانون. - فلا عجب من وجود هكذا مسخ من البشر يشيعون الفساد، وما دام هنالك حواضن للرذيلة وبيئة ملوثة تغوي الكثير من النساء وتجرهن في مستنقعاتها بالإغراء وحتى بالعنف والإكراه! ويبدو أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ..﴾[٨] لم يعد -بالنسبة لهؤلاء-إلا أساطير الأولين، وليس تشريعاً سماوياً تحفظ به الأعراض والأنساب، وتصان به الأخلاق.

وأد البنات في زمن العولمة!

أما وأد البنات في الجاهلية ﴿وَإِذَا الموءودة سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾[٩]، فلا نجده يختلف عن وأدها في عصر العولمة هذا، ولكن بطرق وأنماط مختلفة ومغلفة بعنوان الحضارة والتمدن والانفتاح والتهتك الذي يرمي بها فشيئاً فشيئاً على قارعة الطريق عرضة للمارة، يلهو بها الفسّاق ويرمونها متى شاءوا كلعب أطفال بعد أن يسأموا منها، فربما دفنها في التراب أهون من حياة غارقة في الذل من رأسها حتى أخمص قدميها، فأين نحن من قوله تعالى ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلا﴾[١٠].

القتل تجاوز خطوطه الحمراء!

بلد العجائب والغرائب أصبحنا رغم كل صيحات المنابر وألسنة الوعظ التي بُحّ صوتها، والمرجعيات الدينية التي لم تجد آذاناً صاغية وهذا ديدن من ﴿..نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ..﴾[١١]، وشأن من ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[١٢]، والقتل وسفك الدماء الذي اصطبغت به عهود الجاهلية إلا في الأشهر الحرم أصبح بالنسبة لنا (موضة)، وليس هنالك حرج ولا أهون من سفك الدماء ولأتفه الأسباب، وما يشهده واقعنا القبلي والعشائري والاجتماعي لهو خير دليل على ذلك، بل وازداد الطين بلّة، فلم تبق ثمّة أشهر حُرُم كما للجاهليين الذين هم جاهليون، وليس هنالك خطوط حمراء، فلقد سبقنا الجاهليين في هذا المضمار! ولقد كان القتل في الجاهلية في معظمه بدافع الغزو والسلب والنهب أو بسبب الثأر، وها هو قد أصبح في زماننا هذا ربما بلا ثأر ولا سابق إنذار ولا يعرف الحدود، فلم نسمع في الجاهلية إلا ما ندر جداً أنّ أخاً قتل أخاه أو أنّ أباً قتل ابنه أو معتوهاً فتك بعائلته بأكملها، أو صهراً يبطش بأهل زوجته جميعاً بثورةٍ من غضب، كما يحصل في زماننا الذي انفتحت فيه شهية القتل ولا بدّ من إشباعها، وكأن الذين استخفوا بالأرواح لم يسمعوا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[١٣].

استعباد جاهلي في زمن التحضر!

أمّا العبودية في الجاهلية فهي ظاهرة وفكر قائم على امتهان مجموعة من الناس تحت مسمى العبيد واعتبارهم من الدرجة الأدنى من البشر، لا قيمة لحياتهم ومماتهم، وليس لهم حق التملك وأرواحهم ونفوسهم رهينة بيد من يمتلكهم، من أجل ذلك حرص الإسلام على اجتثاث العبودية بكل أشكالها وصورها وتجفيف منابعها كي تلاشت هذه الظاهرة شيئاً فشيئاً، إلا أنّ هنالك استعباداً جاهلياً جديداً مختلفاً في زمن التحضر بطرق ووسائل مختلفة، فمثلاً نجد صندوق البنك الدولي الذي تشرف عليه دول كبرى يضع شروطاً على المقترضين تجعله متحكماً بمصائر الدول المقترضة وبسياساتها وتعاملاتها الاقتصادية، وحتى في سيادتها. هذا الاستعباد تنسخه الحكومات المقترضة على شعوبها في سنّ القوانين وتوزيع الموارد والأنظمة الإدارية والمالية. فالقروض الحكومية وغير الحكومية الربوية الباهظة في أرباحها التصاعدية أصبحت بأجمعها عبئاً يثقل كاهل الفرد، ويجعله تائهاً في دوامة الديون والقروض التي تصل بالمدين حدّ العبودية له و لأولاده من بعده، فالعبودية متحققة في الحالتين. وكأننا لسنا في بلاد الإسلام الذي نهى عن الربا نهياً شديداً ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾[١٤].

والأمر لا ينفك عن خيارين أما أن يصحوا أمثال هؤلاء من هذا الهوس. وأما أن يكون التصدي للانحراف واجباً عاماً على الجميع، وليس نخبوياً خاصاً يخص فئة دون أخرى. فالمسؤولية مسؤولية الجميع ولا استثناء لأحد في التصدي لهكذا دعوات جاهلية.

٧- سورة المائدة، الآية ٩٠.

٨- سورة النور، الآية ٣٢.
٩- سورة التكوير، الآيتان (٨-٩)
١٠-سورة الإسراء، الآية ٣٢.
١١- سورة الحشر، الآية ١٩.
١٢- سورة الأعراف، الآية ١٧٩.

١٣-سوروة النساء، الآية ٩٣.
١٤- سورة آل عمران، الآية ١٣٠.

ما وراء انتشار بيع الخمور...

محاربة الدين

في خضم ما يجري في هذه الأيام من تداعيات مؤلمة وانحسارات شديد على صعيد المستوى الفكري والأخلاقي وحتى الديني، وفي غفلة من الوعي الاجتماعي تبرز حالة من التصحر الخلقي وأعني هنا فتح محلات بيع الخمور والملاهي الليلية ودور القمار وسط المدن والنواحي المأهولة بالعوائل المحترمة، وتشجيعها ودعمها وتوفير الحماية المشددة لها، بعدما كان لا يسمح لها إلا في أماكن محددة، وما ذاك إلا محاولة للحد من حركة الوعي الديني، من خلال تدخل نوعي ومبرمج يهدف إلى التضحية بالقيم الأخلاقية والدينية، من خلال فرض واقع يتقبله الناس ولو تدريجياً ثم مع مرور الأيام يصبح أمراً عادياً غير مستهجن ولا مرفوض، يتعايشون معه بصورة سلمية، وكأن هذه المحلات محلات بقالة أو كافتريات عادية.

❁ سمير جميل الربيعي

ولفرض هذا الواقع وجعله مقبولاً عند عامة الناس، لا بدَّ لهم من التمهيد له من خلال طرق موضوعات بعينها، لإدخالها في العقول قسراً، حتى ولو كانت القلوب لا تطمئنّ إليها، بهذا يستطيعون زعزعة إيمان هذا الجيل المسلم، وضرب منظومة القيم والأخلاق عنده، وبفرضهم لهذا الواقع يستطيعون إيهامه بأن لا وجود للدين والقيم والأخلاق إلا في ترهات الآباء والأجداد، ومع الأسف كان لهم ما أرادوا ساعدهم في ذلك ضعف ارتباط هذا الجيل بدينه وبأرثة الأخلاقي، بسبب تقصير الآباء في تعريق هذا الارتباط وتعزيزه في نفوس الأبناء، فبدا هذا الجيل وكأنه فاقداً لثقته بشخصيته وهويته المسلمة ومقومات وجوده، وراغباً في الخروج من عالمه الإسلامي النقي، إلى فضاءات سامة وعالم فوضوي تسيّره الرغبات والشهوات والمصالح، ولا يهمه بعد ذلك إن كانت أجواء هذا العالم الدخيل صحيةً أم لا، المهم عنده الآن هو خلع جلباب الأب والمضي قُدماً حتى ولو إلى الجحيم، وكأنَّ الخطوة الأولى التي يضعها على طريق التطور الموهوم والتحرر المزعوم، لا تتم ولا تتحقق إلا أن يسلم نفسه للشيطان، وأن يعتقد بأن التمسك بالأخلاق والخصال الحميدة، أمر يعيق طموحه، والدين قيد زائد على حركة نموه الفكري والاقتصادي، وما الدين والأخلاق إلا ابتكار بشري، أوجدهما الإنسان لتسيير أموره في مرحلة ما، وقد انقضت هذه المرحلة، وتهالك كل شيء، فلا مناصَّ إذن من التحرر من تبعات الدين والأخلاق.

إنّهم يوهمون هذا الجيل ويمنونه بأماني الشيطان، يدعونه للانطلاق نحو فضاءات الحرية المتهتكة، فماذا عليك فكل شيء مبذول ومتاح أمامك، لا يمنعك مانع من دين وأخلاق، فما الدين والأخلاق إلا عقبة كؤود في وجه التنامي والازدهار والتحرر، أليس هما من يعطلان إنجاز الكثير من المعاملات التجارية الناجحة (كالمعاملات الربوية وبيع الخمور والمخدرات وفتح مدن اللهو والقمار ودور الدعارة، وبيع النساء)، رغم عودها الاقتصادي الكبير على البلدان والأفراد على حد سواء، وحتى القرآن لم ينكر نفعها للناس ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[1].

ثم أليس الدين والأخلاق هما السبب الأول في كبت الحريات الشخصية، فماذا على الرجل لو أتى المرأة الأجنبية ما دام قد حصل بينهما اتفاق ضمني، أليس يصح العقد بالإيجاب والقبول! وما الضير من أن يشرب شخص الخمر ما دام لا يؤذي نفسه أو غيره، وماذا في فتح محلات الخمور فهي لا تلوح وتدعو من يحتفظ بدينه وإيمانه قسراً إلى شراء الخمر وشربها! وماذا لو أن شخصاً ما بدد ماله في مدن اللهو والمجون والقمار فهو حر فيما يملك يبذله حيث يريد! أليس في قولكم إنَّ الدين يضمن الحريات.

انظر لما يطرحونه من شبهات تخيّل للذين تستهويهم الشهوات واللذائذ وحب الدنيا أنّها الحقيقة. ولو تخيّلنا أن الدين والأخلاق وقفا موقف الحياد من هذه المعاملات ماذا يمكن أن يحدث لهذا المجتمع؟ بدون أدنى شك سوف تسحق الطبقات الضعيفة من المجتمع نتيجة إطلاق يد أصحاب رؤوس الأموال في ابتزاز واستغلال الفقراء والضعفاء من المجتمع، وحجب الثروات ومنعها من التداول إلا في مجالات محدودة وفي طبقات محدودة، وهذا ما يسهم في بناء

كيان المجتمع على أساس الطبقية بصورها المقيتة، ولو لم يمنع الدين والأخلاق فتح دور الدعارة ويحرم الزنا والسفاح لشاعت الفاحشة وضاعت الأنساب وتفككت الأسر، وعندها يرزح المجتمع تحت وطئة تفشي الأمراض الجنسية والنفسية، ولو لم يحرم القمار ومدن الملاهي لتهاوى بناء اقتصاد المجتمع، وانهارت رؤوس الأموال، التي هي قوام الاقتصاد والتجارة في البلاد، ولو تركت محلات الخمور تنتشر في المجتمع المسلم بهذه الكيفية التي تنتشر فيها هذه الأيام من دون حساب، لضرب الاتجاه الأصيل عند الجيل الجديد المتمثل بالدين الإسلامي بالعنصر الطارئ الدخيل الغريب عليه المتمثل بانتشار محلات شرب الخمر، ولعاش هذا الجيل صراعات وتناقضات نفسية لا أول لها ولا آخر، إذ كيف تستقيم عنده قيم الإسلام الأصيلة الداعية إلى نبذ الرذيلة والفسق والفجور وهو يتقبل مثل هكذا محلات تنشر الفسق والفجور والرذيلة.

نعم الدين والأخلاق يقطعان أذرع الفساد، ويمنعان ويحميان الإنسان من نفسه أن تنحدر وتتهاوى في مستنقع الرذيلة، ولكي ينجح مشروع الشيطان في نشر الرذيلة وهيمنة الفساد على الأمة، لا بد من إيجاد اتجاه معاكس يوقف المدد الديني والأخلاقي.

١- سورة البقرة، الآية ٢١٩.

البرزخ قرآنياً

علي فالح عليش

قد تبين من الآيات القرآنية المباركة ومن السنة النبوية حقيقة العوالم الغيبية وبيان تفصيلها بشكل لا يقبل الريبة، فقد ورد في القرآن الكريم مفردة البرزخ ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1]، كما ذكر القرآن في آية أخرى حقيقة وجود عالم البرزخ حينما يستعرض حال أولئك الكافرين وما سوف يلاقونه في عالم البرزخ قبل يوم القيامة والعذاب الأكبر ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[2]، كما بين حال المؤمنين وما هم فيه من النعيم في ذلك العالم في قوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[3]، وحقيقة ما يعيشه الشهداء في عالم البرزخ وما يتنعمون به قبل نعيم الآخرة ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4].

إنّ سياق الآيات دال على أن هنالك عالماً متوسط ما بين عالم الدنيا وعالم الآخرة فورود الغدو والعشي في الآية الأولى، وبكرة وعشياً في الآية الثانية، وما يتنعم به الشهداء في الآية الثالثة، يتبين أن هنالك عالماً مغايراً، لا ينتمي لعالم الدنيا، لأن الدنيا دار عمل وتكليف، يكلف فيها الفرد بالأوامر والنواهي الإلهية، والتغير والتبدل من لوازمها، كما أن الزمان والمكان من خصائصها، وليس فيها حساب، بخلاف عالم البرزخ الذي يرفع فيه العمل والتكليف لينصب فيه بشكل ما موازين الحساب والعقاب، فهو قيامة صغرى كما بينت الآيات، ثم أن كل ما في هذا العالم (البرزخ) سواء من المؤمنين أو الكافرين هم من الذين توفاهم الله وانتقلوا من عالم الدنيا، ولا ينتمي لعالم الآخرة باعتبار وجود هاتين اللفظتين في الآيتين (بكرة وعشياً وفي لفظ آخر غدواً وعشياً)، وكما هو معروف هما ناتج شروق الشمس وغيابها، ولا وجود لليل والنهار يوم القيامة، والشاهد على ذلك قوله تعالى حينما يصف حال المؤمنين في يوم القيامة بأنهم لا يرون شمساً ولا زمهريراً قال تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾[5].

إنَّ حقيقة عالم البرزخ من الحقائق القرآنية التي لا يمكن إنكارها، بل هي من الحقائق التي يجب على المؤمن أن يؤمن بها، وإنكارها يستوجب فساد في العقيدة، والحياة البرزخية واجب تحققها ووقوعها بحسب التكوين الإلهي، ولا قدرة للإنسان من دفع الحياة البرزخية عنه، وهي غير الحياة الدنيوية، فهي متباينة عنها ومتغايرة كما بينا سابقاً، ولها أحكامها وقوانينها الخاصة بها، وقد ورد في الأحاديث النبوية الشريفة، وما صدر عن أهل البيت عليهم السلام من أحاديث صحيحة وأدعية مأثورة، ما يثبت وجود عالم البرزخ، وطبيعة ما يواجهه الإنسان في ذلك العالم، ففي قول لرسول الله صلى الله عليه وآله يصف فيه حب علي بن أبي طالب عليه السلام وما للمؤمن بحبه لعلي من نصيب في عالم القبر (البرزخ): (ألا و مَن أحبَّ عليّاً هَوَّنَ اللّه عليهِ سَكَراتِ الْمَوْتِ و جَعَلَ قَبْرَهُ رَوْضَةً مِن رياضِ الْجنَّةِ) [6] قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: (لا يسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، والآخرون يلهون عنهم)[7]، وجاء في الأدعية للميت، اللهم وسع الأرض له ولا تضغطه، واجعل قبره روضة من رياض الجنة.

إنّ الأخبار المستفيضة والكثيرة التي تناولت عالم البرزخ، تؤكد على ضرورة الإيمان بوجود ذلك العالم، وأن على الإنسان أن يستعد له من خلال الإيمان بالله ورسوله والقيام بالأعمال الصالحة، فالتوجس من الموت وذكره وذكر ما يمر على الإنسان من بعده ومروره بعوالم غيبية كذلك يحثه على العمل على مرضاة الله وعمل الصالحات ويبتعد عن سخط الله وينزجر عن المعاصي والأعمال الطالحة، وبذلك يبلغ الإنسان رحمة الله ورضوانه.

١- سورة المؤمنون، الآية ١٠٠.
٢- سورة غافر، الآية ٤٦.
٣- سورة مريم، الآية ٦٢.
٤- سورة آل عمران، الآية ١٦٩ -١٧٠.
٥- سورة الإنسان، الآية ١٣
٦- تأويل الآيات الظاهرة، السيد شرف الدين علي الحسني الأسترآبادي، ج٢، ص٨٦٢.
٧- الكافي، الكليني ،ج٣، ص٢٢٤، الباب١٥٩، ح ١.

الخلق الأبدي

للجنة والنار

"أجمل وعد من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين أن يجازيهم على حسن الأعمال بالجنات التي سيعيشون فيها إلى أبعد زمان حيث وصفه تعالى بالخلد الأبدي

جاء في القران الكريم بأجمل وصف للجنة ففيها أجمل الأنهر التي تجري بماء غير آسن وأنهار من عسل ومن خمر وفيها مختلف الأشياء الجميلة، وحور العين وما تشتهي الأعين قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [1].

وكذلك وعد الله الكافرين بأن لهم النار خالدين فيها يعذبون فيها بأسوأ العذاب على ما عملوا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، إلا أن هنالك الكثير من المشككين في خلق الجنة والنار هل هي مخلوقة من قبل أو أنها سوف تخلق فيما بعد؟

ولقد أشارت العديد من الآيات والأحاديث التي تدل على وجود الجنة والنار، وجاء في حديثٍ عن الشيخ المفيد يقول فيه ﷺ: (إن الجنة والنار في هذا الوقت مخلوقتان، وبذلك جاءت الأخبار وعليه إجماع أهل الشرع والآثار)[2].

ولقد أشار القران الكريم بالعديد من الآيات القرآنية التي تدل على أن الجنة والنار مخلوقتان من قبل، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [3].

في هذه الآية كلمة أعدّت بمعنى لا يمنع من إعدادها لغير الكافرين من الفسّاق[4]، وهي إشارة إلى أنها خلق فعلي، ومن ناحية أخرى، فلا فرق في هذا الموضوع بين الجنة والنار، ولقد تحدث القران عن الجنة وعن جمالها وكون أنها مخصصة للمتقين، ولو لم تكن النار أو الجنة موجودتين ولم تخلقا، لما كان لهما أثر في القران.

١- سورة محمد، الآية١٥.
٢- أوائل المقالات، ص١٢٤.
٣-سورة البقرة، الآية، ٢٤.
٤- التبيان في تفسير القران، الشيخ الطوسي،ج١،ص١٠٧.

وزيادة في إثبات عذا الموضوع فقد جاء في قصة حارثة بن مالك بن النعمان عندما استقبله رسول الله ﷺ فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالك؟ فقال: يا رسول الله مؤمن حقاً، فقال له رسول الله ﷺ: لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك؟ فقال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت هواجري وكأني أنظر إلى عرش ربي، وقد وضع للحساب، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة وكأني أسمع عواء أهل النار في النار، فقال له رسول الله ﷺ: عبد نوّر الله قلبه، أبصرت فأثبت)[5].

وفي حديث آخر يثبت فيه خلق الجنة والنار من قبل، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: (لما أسري بي إلى السماء، دخلت الجنة فرأيت فيها قيعانا يققا من مسك، ورأيت فيها ملائكة يبنون لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وربما أمسكوا، فقلت لهم: مالكم ربما بنيتم وربما أمسكتم؟ قالوا حتى تأتينا النفقة قلت وما نفقتكم، قالوا قول المؤمن (سبحان، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) فإذا قالهن بنينا، وإذا سكت وأمسك أمسكنا).[6]

وقال النبي ﷺ : لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل ﷺ فأدخلني الجنة، فناولني من رطبها فأكلته، فتحول ذلك نطفة في صلبي، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء إنسية، فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة ﷺ [7].

وجميع هذه الروايات والآيات القرآنية تدل على وجود الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان من قبل، وكل ما ذكرناه استدلال لقول الشيخ المفيد ﷺ: لقد خلقت الجنة والنار والأخبار عن ذلك موجودة، والإجماع يؤكدان على الأمر أيضاً، فمن هنا نستطيع أن نرد على كل من يشكك في وجود الجنة والنار.

٥- الكافي، الشيخ الكليني، ج ٢،ص ٥٤.
٦- الأمالي، الشيخ الصدوق،ص٤٧٤.
٧- الأمالي، الشيخ الصدوق ٥٤٦.

تفسير الفرقان

الشيخ محمد الصادقي الطهراني

طلب العلم في صباه، فنال من المجد علاه، سبر أعماق العلوم، فطال بسعيه النجوم، درّس الفقه والأخلاق والتفسير، فحاز منهم الشرف الكبير، حتى شملته مِنّةُ المنان ففسّر يراعُهُ القرآن، إنه صاحب تفسير الفرقان.

❁ حيدر صباح

هو الشيخ محمد الصادقي الطهراني ابن الحاج الشيخ رضا لسان المحققين، ولد في مدينة طهران (١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م) في بيت ساده العلم والمعرفة، حيث كان والده من الخطباء الأفذاذ والمحققين البارعين. قد قضى سنة كاملة في تحصيل دروس المقدمات الحوزوية، بعدها أكمل مرحلة السطوح في ثلاث سنوات، وعندما ذهب المرحوم آية الله العظمى السيد حسين البروجردي إلى قم المقدسة شارك في دروسه، يقول المؤلف في مقال له نشرته جامعة علوم القران- مركز نشر الآثار والتأليف: (لم أقلد أحداً في المسائل الفقهية)، ويذكر أيضاً: (المحور الأساسي في تفكيري.. الأول كان عند المرحوم آية الله العظمى السيد الطباطبائي والذي كان الدليل الأساسي طوال عمري في استمرار الدرجات التفسيرية والعرفان الفلسفي والأخلاق)، ومن خلال رحلاته الكثيرة من قم إلى طهران حضر الدروس الفلسفية للمرحوم آية الله العظمى الميرزا مهدي أشتياني والميرزا أحمد أشتياني، مع العلم أن الدروس الأساسية كانت على يد المرحوم شاه آبادي.

حصل على الشهادة الأكاديمية بدرجة البكالوريوس في الحقوق وعلوم التربية والفلسفة والفقه، ومن ثمَّ إلى درجة الدكتوراه العالية في المعارف الإسلامية من جامعة المعقول والمنقول، درَّس الفلسفة الإسلامية في الجامعة نفسها لثلاثِ سنواتٍ على ضوء القران والسُّنة من نصوص كتاب الخالق والمخلوق، قضى عشريناً من عمره في مدينة قم حتى هاجر إلى طهران، وكانت له نشاطات مع السيد أبي القاسم الكاشاني، وكانت له خطابات وحركة سياسية حكم على أثرها بالإعدام غيابيا من حكومة الشاه، هاجر متخفياً إلى السعودية في موسم الحج، واستمر في نهجه وقام في توزيع المنشورات باللغتين الفارسية والعربية، بعد ذلك رحل إلى العراق حيث قام في النجف الأشرف بتدريس التفسير والفقه والأخلاق والخطابة والتأليف، ومن بعدها هاجر إلى بيروت وخلال خمس سنوات كانت له مناظرات مع المسيحية واليهودية والدرزية والملحدين، وعندما اشتدت الحرب الداخلية في لبنان هاجر إلى الحجاز وتعرض لعدة اعتقالاتٍ، وبعد قيام الثورة الإسلامية في إيران كما يَذكُرُ هو: (كنت مؤثراً أساسياً في هذا التأسيس وكنت في حينها أجيب على المسائل الشرعية على ضوء القرآن وشكلت إقامة صلاة الجمعة لأول مرة في إيران بكافة المحافظات والمدن). حيث أدى أول صلاة جمعة في مشهد المقدسة، بعدها شرع بتأليف تفسير الفرقان في ٣٠ مجلداً، بالإضافة إلى تدريس التفسير باللغتين العربية والفارسية.

بعض من أساتذته

بالرغم من أن أساتذته كُثر وأننا ذكرنا بعضهم ولا بأس بذكر أبرزِهم وهم:

١. السيد روح الله الخميني.
٢. السيد أبو القاسم الخوئي.
٣. السيد حسين البروجردي.
٤. السيد محمد حسين الطباطبائي، صاحب تفسير الميزان.

بعض مؤلفاته

١. الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة (٣٠ مجلداً).
٢. التفسير الموضوعي بين الكتاب والسنة (٢٢ مجلداً).
٣. الفقه المقارن بين الكتاب والسنة (٨ مجلدات).
٤. عقائدنا.
٥. المقارنات.
٦. رسول الإسلام في الكتب السماوية.
٧. حوار بين الإلهيين والماديين.
٨. علي والحاكمون.
٩. على شاطىء الجمعة.
١٠. فتياتنا.
١١. مقارنات فقهية.
١٢. تاريخ الفكر والحضارة.
١٣. لماذا نصلي ومتى نقصر من الصلاة؟
١٤. لماذا انتصرت إسرائيل ومتى تنهزم؟
١٥. حوار بين أهل الجنة والنار.
١٦. المناظرات.
١٧. المسافرون.
١٨. تبصرة الفقهاء بين الكتاب والسنة.
١٩. تبصرة الوسيلة بين الكتاب والسنة.
٢٠. أصول الاستنباط بين الكتاب والسنة.
٢١. الفقهاء بين الكتاب والسنة.
٢٢. شذرات الوسائل والوافي المخطوط.

لقد كان تفسير الفرقان مَحَطَ الإعجاب لمن قَرأَهُ وغاص في أعماق معانيه وأسلوبه الجميل، ومن أهم ما كُتِبَ في هذا التفسير الذي كتبه السيد محمد حسين الطباطبائي: (إنه لكتاب يقرُّ عيوننا، وهو سندُ عزِّنا، وأصلٌ من مفاخرنا- نحن المفسرين- إن شاء الله تعالى تُكَرِّسُ كافة طاقاتك وإمكانياتك، وتَبذُل جميع مساعيك في مواصلة هذا الأسلوب الفريد من التفسير).[١]

وذكر أيضاً: هذه الموسوعة العظيمة البارعة البديعة التي جاد بها يراع مؤلفه، جامعاً فيها بين أناقة التعبير وعلاقته، وعمق المعنى ولباقته، وقد تكون جملة وتفسيراً منقطع النظير بين سائر التفسير التي جاد بها أقلام مفسري القرآن قديماً و حديثاً[٢].

توفي ﷺ سنة (١٤٢٩هـ - ٢٠١١م) عن عمر ٨٥ عاماً، وشُيِّع تشييعاً مهيباً (فدفن في مدينة قم المقدسة)[٣]، فحاز من العلم ما ينتفع به في الدنيا والآخرة من عظيم ما تركه من المؤلفات التي أردفت المكتبة الإسلامية، فكانت رقماً من أرقام العلم والمعرفة، التي لا يُستغنى عنها في الدراسات والبحوث، رحمه الله وأسكنه من الجنة أعلاها، وألبسه من ثياب السندس أحلاها، وحشره في زمرة محمد وآله الطاهرين.

١- الفرقان في تفسير القرآن، الشيخ محمد الصادقي، ج١، ص٧.
٢- المصدر نفسه ص٥.
٣- مقتبس من صفحة جامعة علوم القران على النت، مركز نشر الآثار والتأليف، قم المقدسة.

شواهد قرآنية

في بيان معنى التوحيد

اتفق المسلمون قاطبة على كلمة التوحيد، (لا إله إلا الله) والجميع يقولون في كل يوم وليلة في صلواتهم ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾، ولا يشك أحدا من المسلمين في هذه القاعدة الكلية. يقع الكلام والنقاش في الجزئيات والمصاديق الخارجية، مثلا يقع الخلاف في مسألة التوسل بالرسول وأهل بيته بذاته أو دعائهم أو زيارة قبورهم عليهم السلام، وغيرها..

❁ الشيخ ليث عباس

استفحل هذا الخلاف في عصرنا هذا، فصار ذلك سبباً لتفريق الكلمة، وتفرق الأمة إلى طائفتين: فطائفة: ترى التوسل وطلب الشفاعة والتبرك تمسكاً بالأسباب التي ندب إليها الشرع كتابا وسنة وسيرة، وطائفة أخرى: تنظر إلى هذه الأعمال خلاف ظاهر آيات القران، ولأنها لا تلائم التوحيد في العبادة. وعند إخضاع الموضوع لمنظار القرآن الكريم وملاحظة التوحيد والشرك من ذلك الجانب نرى القرآن الكريم يصرح في بعض آيات بأن الله تعالى هو الذي يتوفى الأنفس حين موتها: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[1]، بينما ينسب التوفي إلى غيره في آية آخر (إلا الله ولا نعبد إلا إياه)، أي أنه لا معبود سوى الله تعالى ولا مستعان غيره، ولأجل ذلك نرى أن المسلمين: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾[2] ﴿ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِ﴾[3]؛ ويعتبر القرآن الكريم الشفاعة حقاً مختصاً بالله تعالى وحده، إذ يقول: ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[4]، بينما يخبرنا في آية أخرى عن وجود شفعاء غير الله كالملائكة: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ﴾[5]؛ وكذا يعتبر القرآن الاطلاع على الغيب والعلم به منحصرا في الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[6]، فيما يخبر الكتاب العزيز في آية أخرى عن أن الله تعالى يختار بعض عباده لاطلاعهم على الغيب: ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاء فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ﴾[7]؛ وغيرها الكثير من الأمثلة القرانية، فمن كان سطحياً وأعمى البصيرة ولم يكن له إلمام بمعارف القرآن يتخيل لأول وهلة أن هناك تعارضاً بين تلك الآيات، خلا الراسخين في العلم الملمين بمعارف الكتاب العزيز، فهم يدركون أن حقيقة هذه الأمور قائمة بالله تعالى، على نحو لا يكون لله فيها أي شريك فهو تعالى يقوم بها بالأصالة وعلى وجه (الاستقلال)، وما سواه تعالى يقوم بهذه الأفعال والشؤون على نحو (التبعية) وفي ظل القدرة الإلهية، دون أن تمنع خالقية الله تعالى من ذلك.

ونحن نعلم أن التوحيد ونبذ الشرك من أهم المسائل العقائدية التي تصدرت المفاهيم والتعاليم السماوية على الإطلاق، ويعد أساساً لسائر المعارف الإلهية التي جاء بها الرسل والأنبياء.. والقرآن كله يتحدث عن التوحيد، وأما التقسيم الذي قال به بعضُ أهل العلم من أن القرآن ينقسم إلى ثلاثة أقسام: توحيد، وأخبار، وأحكام، فهذه الأقسام عند التحقيق كلها تعود إلى التوحيد.

إنّ الإخبارَ في القرآن إمّا إخبار عن الله تعالى وأسمائه وصفاته، فهذا توحيد، أو إخبار عن الأمم الماضية وقصصهم مع أنبيائهم والخصام الدائر حول توحيد الألوهية، وإما إخبار عن أمور الساعة والجنة والنار، وهذا يدخل في جزاء التوحيد، وأما الأحكام والنواهي فهي من لوازم التوحيد؛ لأنه لا يمكن أن يحقّق هذه الأحكامَ إلا مَن حقق التوحيد، فهو المرتكز والأساس. وله أقسام هي:

﴿التوحيد في الذات الإلهية﴾

والمراد منه هو أنه سبحانه واحد لا نظير له، فرد لا مثيل له، ونعتقد بأنه يجب توحيد الله تعالى من جميع الجهات، فكما يجب توحيده في الذات ووجوب وجوده، كذلك يجب توحيده في الصفات، وذلك بالاعتقاد بأن صفاته عين ذاته، أي يمتنع أن يكون له نظير أو مثيل، قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[8].

﴿التوحيد في الخالقية﴾

والمراد أنه ليس في الوجود خالق غير الله تعالى، مؤثر سواه، وان الوجود برمته مخلوقه؛ فما في الكون من السماوات والأرض وما بينهما من الجبال والبحار والعناصر والمعادن والنباتات والأشجار فهو مخلوق لله تعالى، فوجودها وأفعالها وآثارها كلها مخلوقة لله تعالى، قال سبحانه: ﴿قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[9]، ﴿ذلكمُ اللهُ رَبُّكُم خالقُ كلِّ شيءٍ لا إلهَ إلاّ هُوَ﴾[10].

﴿التوحيد في الربوبية﴾

والمراد منه ان الكون الذي خلقه الله تعالى فهو مدبرٌ واحدٌ يدبر أمور خلقه، لا يضادُّه في قضائه أحد، ومتصرفٌ كذلك لا يشاركه في التدبير شيء، فهو سبحانه المدبر الوحيد للكون على الأطلاق، قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾[11]، وكلّ من يقول عكس ذلك أو يفصل بين الخالق والمتصرف، فهو مشرك على حد سواء.

﴿التوحيد في التشريع﴾

والمراد منه ان التشريع والتقنين للعباد حق مختص بالله تعالى فاذا كان الله تعالى هو الربُّ والمدبّر والمتصرف والمالك للكون والإنسان، فهو المشرع الوحيد للمجتمع الإنساني ولا يحق لأحد التقنين غيره، والله خير مَن يفصل بين الحق والباطل بقضائه وحكمه، قال سبحانه: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾[12]، ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[13]،

والمراد من الحاكمية هو حق مختص بالله تعالى، وحكومة الغير يجب أن تنتهي إلى الله تعالى، وذلك لأن الحكومة والحاكمية في المجتمع لا تنفك عن التصرف في النفوس والأموال وتحديد الحريات وذلك فرع ولاية الحاكم على المحكوم ولولاها لعدَّ التصرف عدواناً، ومما لا شكّ فيه أن الولاية لله المالك الحقيقي للإنسان الخالق له، والمدبر له، فلا يحق لأحد الأمرة على العباد إلا بإذن منه سبحانه.

﴿التوحيد في الطاعة﴾

والمراد أنه لا يجب طاعة سوى الله تعالى، فهو وحده يجب أن يطاع وأن نمتثل لأوامره ونواهيه، وأما طاعة غيره فتجب بإذنه وأمره وإلا كانت محرمة موجبة للشرك في الطاعة، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[14]، نعم تجب طاعة النبيﷺ، وأهل بيته لأمر الله تعالى، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ..﴾[15]

﴿التوحيد في العبادة﴾

هو الهدف الوحيد من بعث الأنبياء قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[16]، والمراد منه حصر العبادة بالله تعالى فلا تجوز عبادة غيره وهذا هو الأصل المتفق عليه بين جميع طوائف المسلمين فلا يكون المسلم مسلماً إلا بالامتثال للأوامر، والاجتناب عن النواهي الواردة في الشريعة المقدسة كتاباً وسنةً. (فرائض الله جل اسمه لا تؤدى إلا بالطاعات في حدودها) قوله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾[17] فعبادة غيره إشراك بالله تعالى، كمن يرائي في عبادته ويتقرب إلى غير الله تعالى، حكمه حكم من يعبد الأصنام والأوثان، لا فرق بينهما... لنوسع مدارك عقولنا بكلمة مباركة مأثورة عن الأكابر وهي: (بني الإسلام على دعامتين: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة).

١- سورة الزمر، الاية ٤٢.
٢- سورة الانعام، الاية٦١.
٣- سورة الأنعام، الآية ٦٢.
٤- سورة الزمر، الاية ٤٤.
٥- سورة النجم، الاية٢٦.
٦- سورة النمل، الاية٦٥.
٧- سورة ال عمران، الاية١٧٩.
٨- سورة الشورى، الاية ١١.
٩- سورة الرعد، الاية١٦.
١٠- سورة غافر، الآية ٦٢.
١١- سورة يونس، الاية٣.
١٢- سورة الانعام، الاية ٥٧.
١٣- سورة المائدة، الاية٤٤.
١٤- سورة البينة، الاية٥.
١٥- سورة النساء، الاية ٥٩.
١٦- سورة النحل، الآية ٣٦.
١٧- سورة الفاتحة، الاية٥.

سورة الكوثر

إضاءات فيها ومنها

❁ الشيخ قاسم كاظم الخفاجي

تسمية السورة

سورة الكوثر سميت بهذا الاسم في جميع المصاحف وكذلك عند المفسرين وهو الأشهر، وذكرت باسم سورة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، ولها اسم آخر وهو سورة النحر.

مكان نزولها وعدد آياتها وكلماتها وحروفها

فيها أقوال؛ الأول: مكية وهو الأشهر والثابت لما روي من سبب نزول السورة في العاص بن وائل وسنذكره في أسباب النزول. الثاني: مكية وقيل مدنية. الثالث: مدنية كما في الإتقان للسيوطي، إلا أنه في تفسيره الدر المنثور روى عن ابن عباس وعائشة وابن الزبير أنها نزلت بمكة. وأما آياتها فهي ثلاث بلا خلاف، وعدد كلماتها عشر كلمات وعدد حروفها اثنان وأربعون حرفاً.

سبب النزول

قال الواحدي النيسابوري: قال ابن عباس: نزلت في العاص، وذلك أنه رأى رسول الله ﷺ يخرج من المسجد وهو يدخل، فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس، فلما دخل العاص قالوا له: من الذي كنت تحدث؟ قال: ذاك الأبتر، يعني النبي صلوات الله وسلامه عليه، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله ﷺ وكان من خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتر، فأنزل الله تعالى هذه السورة. ونقل السيوطي في تفسيره عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾. قال: نهر في بطنان الجنة حافتاه قباب الدر والياقوت فيه أزواجه وخدمه. قال: وبأي شيء ذكر ذلك؟ قال: إنّ رسول الله ﷺ دخل من باب الصفا وخرج من باب المروة فاستقبله العاص بن وائل السهمي فرجع العاص إلى قريش، فقالت له قريش: من استقبلك يا أبا عمرو آنفا؟ قال: ذلك الأبتر -يريد به النبي ﷺ- حتى أنزل الله هذه السورة ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ {الكوثر ❁ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ❁ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ يعني عدوك العاص بن وائل هو الأبتر من الخير. لا أذكر في مكان الا ذكرت معي يا محمد، فمن ذكرني ولم يذكرك ليس له في الجنة نصيب. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت حسان بن ثابت يقول: وحباه الإله بالكوثر الأكبر * فيه النعيم والخيرات. وهذا المعنى كان قد ذكره ابن هشام فقال: نزول سورة الكوثر، قال ابن إسحاق: وكان العاص بن وائل السهمي -فيما بلغني -إذا ذكر رسول الله ﷺ قال: دعوه، فإنما هو رجل أبتر لا عقب له، لو [قد] مات لانقطع ذكره واسترحتم منه. فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ما هو خير [لك] من الدنيا وما فيها. ولم يقتصر ذكر سبب النزول على من ذكرنا، بل قد أورده كتّاب السيرة والمفسرون والمحدثون وتواتر عندهم.

نعم يُذكر سبب نزول آخر عن أنس بن مالك قال فيه: أغفى النبي ﷺ إغفاءة، فرفع رأسه متبسما إما قال لهم، وإما قالوا له لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ إنّه أنزلت عليَّ آنفاً سورة، فقرأ رسول الله ﷺ (بسم الله الرحمن الرحيم إنّا أعطيناك الكوثر) حتى ختمها قال هل تدرون ما الكوثر؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: هو نهر أعطانيه ربي عزَّ وجل في الجنة عليه خير كثير، يرد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم؛ فأقول: يا ربِّ، إنّه من أمتي. فيقال لي: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك. ففي هذه الرواية يذكر أنس أن النبي ﷺ قال: (أنزلت عليَّ آنفاً سورة) ولهذا قالوا إنّها مدنية، ويمكن المناقشة بأن الواقعة لم يذكرها غير أنس رغم أن هناك جمعاً من الصحابة في المسجد هذا أولاً، وثانياً أنه روي بطرق أخرى أن أنس فسّر الكوثر لمن سأله ولم يذكر إغفاءة النبي ﷺ ولم يقل إنّها نزلت آنفاً، وثالثاً، ما هو مؤيد لنزولها في مكة، نقل الطبري في تفسيره في من نزلت فيه آية ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ منها أنها نزلت في عقبة بن أبي معيط، ومنها في جماعة من قريش، ومنها في قريش. ورابعاً لحن السورة وصياغة آياتها زاخرة بالحيوية رغم قصرها يشير إلى مكيتها.

شرح كلمات السورة

قال ابن منظور: الكَوْثَر، وهو فَوْعَل من الكثرة والواو زائدة، ومعناه الخير الكثير.

النَّحْرُ: الصَّدْر. والنُّحُورُ: الصدُور. ابن سيده: نَحْرُ الصدر أعلاه، وقيل: هو موضعُ القلادة منه، وهو المَنْحَر، ونَحَرَ الرجلُ في الصلاة يَنْحَرُ: انتصب ونَهَدَ صَدْرُه.. وقوله تعالى: فصلِّ لربك وانحرْ؛.. وقيل: أَمر بأَن ينتصِب بنَحْره بإزاء القبلة وأَن لا يلتفتَ يميناً ولا شمالًا؛ وقال الفراء: معناه استقبل القبلة بِنَحْرِك. ابن الأَعرابي: النَّحْرَة انتصاب الرجلُ في الصلاة بإزاء المحراب.

تَشانَؤُوا أَي تَباغَضوا، وفي التنزيل العزيز: إِنَّ شانِئَك هو الأَبْتر. قال الفَرَّاءُ: قال اللَّه تعالى لنبيه ﷺ: إِنَّ شانِئك أَي مُبْغِضَك وعَدُوَّكَ هو الأَبْتَر. أَبو عمرو: الشَّانِيُء: المُبْغِضُ. والشَّنْءُ والشَّنْءُ: البِغْضَةُ.

والأَبْتَرُ: الذي لا عَقِبَ له.

التفسير

الكوثر؛ أُختلف فيه، قال بعض: الكوثر إنه اسم علم على نهر في الجنة، ويستدل لهذا المعنى من حديث رواه ابن عباس قال: لمّا نزل على رسول الله ﷺ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾، قال له عليّ بن أبي طالب ﷺ: ما هو الكوثر يا رسول الله؟ قال: نهر أكرمني الله به، قال عليّ: إنّ هذا النهر شريف، فانعته لنا يا رسول الله، قال: نعم، يا عليّ، الكوثر نهر يجري تحت عرش الله عزّ وجلّ، ماؤه أشدّ بياضاً من اللّبن، وأحلى من العسل، وألين من الزبد. وحصاه الزبرجد والياقوت والمرجان، حشيشه الزعفران، ترابه المسك الأذفر، قواعده تحت عرش الله عزّ وجلّ. ثمّ ضرب رسول الله ﷺ يده على جنب عليّ أمير المؤمنين ﷺ وقال: يا عليّ إنّ هذا النهر لي ولك ولمحبيّك من بعدي. وروى هذا المعنى أنس مع اختلاف في آخر الحديث، حيث روى أنس بعد وصف الكوثر: (يرد عليه أمتي يوم القيامة،

آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم، فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) وهذا الاختلاف لفظا لا يدل بالضرورة على اختلاف المقصد بل يطابقه إن جمعناه مع نصوص قرآنية وأحاديث نبوية في متابعة علي عليه السلام ومحبته.

وقال بعض الكوثر وصف، وهو الخير الكثير، ويستدل لذلك بأمور منها، أن سعيد بن جبير سأله أبو بشر عن الكوثر وقال إنَّ الناس يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير، الذي أعطاه الله إياه. وهنا حرف الجر (من) يفيد التبعيض أي بعض الخير الكثير هو النهر، وهو أحد مصاديقه ولذا وجه المفسرون معنى الكوثر إلى أقوال كثيرة مع معنى النهر وذكر أكثرها الفخر الرازي وهي؛ حوض في الجنة، القرآن، الحكمة، النبوة، كثرة الأولاد، الإسلام، علماء أمته، كثرة أتباعه، الفضائل الكثيرة التي فيه، رفعة الذكر، العلم، الخلق الحسن، الشفاعة، جميع ما أنعم الله عليه. ويمكن الرد على بعض ما ورد من أقوال؛ فإنّه لو كان المقصود القرآن فإنّ القرآن كان ينزل عليه، وكذلك النبي موصوف بالحكمة قبل نزول السورة، وكذا النبوة فقد ثبتت له رغم عناد الكافرين، وكذا الإسلام فإنه يدعو إليه فكيف يُعطاه؟ وأما كثرة الأتباع فليست كل كثرة محمودة كما صرّح القرآن بذلك، وأما الخلق الحسن فإنّ القرآن يصرح بأنّه على خلق عظيم، بل رسالته في خطوطها الأولى تدعو إلى الخلق قال صلى الله عليه وآله: (إنما أنا رحمة مهداة، إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، وفي العلم نقول فيكون هو الشيء نفسه ما أُمر النبي بطلبه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، وأما رفعة الذكر فقد أعطاه الله تعالى من قبل ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، ويبقى استغراب على هذا المفسر ومن تبعه ولمن سبقه، فهم لم يذكروا صريحاً أنّ الكوثر هي السيدة العظيمة فاطمة عليها السلام، رغم ذكره أن أحد المعاني هو (كثرة الأولاد)، فقد صرّح بعد هذا القول: (إنّ هذه السورة إنّما نزلت رداً على من عابه صلى الله عليه وآله بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون على مرِّ الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت، ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء، كالباقر، والصادق، والكاظم، والرضا عليهم السلام، والنفس الزكية. وهذا هو الحق فإن سياق السورة يردُّ على من عابه بأنّه لم يكن له ولداً ذكراً، وفاطمة هي من علماء الأمة وزوج سيدهم علي عليه السلام وأم الحسن والحسين وذرية الحسين الأئمة عليهم السلام الذين هم عدل القرآن الذي من تمسك بهما نجا وشرب من حوض الكوثر ونهره ولن يذاد عنه كما روى أنس عن النبي صلى الله عليه وآله، ونال شفاعة وكرامة عند الله، وكان له هذا النهر أو الحوض لأنه من محبي علي عليه السلام وليس من مبغضيه، فإن مبغض علي مبغض للنبي صلى الله عليه وآله.

فضل قراءة السورة

قال الإمام الصادق عليه السلام: (من كان قراءته ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ في فرائضه ونوافله، سقاه الله من الكوثر يوم القيامة، وكان منزله عند رسول الله في أصل طوبى[1].

روي عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: (من قرأ هذه السورة سقاه الله تعالى من نهر الكوثر، ومن كل نهر في الجنة وكتب له عشر حسنات بعدد كل من قرَّب قرباناً من الناس يوم النحر، ومن قرأها ليلة الجمعة مائة مرة رأى النبي صلى الله عليه وآله في منامه رأي العين، لا يتمثل بغيره من الناس إلا كما يراه).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من قرأها سقاه الله من نهر الكوثر ومن كل نهر في الجنة، ومن قرأها ليلة الجمعة مائة مرة مكملة رأى النبي صلى الله عليه وآله في منامه بإذن الله تعالى).

وقال الصادق عليه السلام: (من قرأها بعد صلاة يصليها نصف الليل سرا من ليلة الجمعة ألف مرة مكملة رأى النبي صلى الله عليه وآله في منامه بإذن الله تعالى).

خاتمة مسك

ذكر محمد بن محمود الآملي في كتاب (نفائس الفنون)، والمقدس الأردبيلي في الحديقة: أنه صعد المنبر قاضي القضاة عبد الملك في مسجد جامع السلطانية في إيران، وكان جالسا كل من (خدا بنده) والعلامة الحلي، وكبار رجال الملك من السنة والشيعة، وكان موضوع القاضي يدور حول الصلاة على محمد وآل محمد وفضلها. فلما نزل سأله السلطان، قائلاً لماذا نذكر في الصلوات على النبي محمد آله أيضاً، وقد أمرنا باقترانهم معه في الصلاة بينما الأنبياء الآخرون نكتفي بالصلاة عليهم فقط، ولم يذكر فيها أحد منهم في ضمنها؟ فعجز الخطيب وتحير عن الجواب، فبينما هو يفكر في ذلك، وإذا بالسلطان (خدا بنده) انبرى قائلاً: خطر لي ببالي في جواب هذه المسألة وجهان أعرضهما على العلماء فإن كان الجواب صحيحا أنصفوني، وإلا فعلي الغرامة لذلك! أما الوجه الأول: فلأن أعداء النبي محمد صلى الله عليه وآله كانوا يقولون عنه أنه أبتر وشمتوا بحاله، حتى أنزل الله تعالى سورة الكوثر مسلياً نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله راداً عليهم محتما عليهم بترهم، وقطع نسلهم وقطع نسلهم ومحو ذكرهم وجعلهم البتراء في دار الدنيا، وجعل ذكر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله مقرونا بآله في الصلاة لكيلا يصدق عليه أنه أبتر، فلزم علينا ذكر آله عند الصلاة عليه لنؤكد أنه ليس أبتراً أبداً، ويزداد نسله يوم بعد يوم، فكلما يذكر فيجب أن يذكروا معه فإن محمداً أبتر بغيرهم فمن ذكره بالصلاة البتراء فقد وافق القائل له أنه أبتر.

وأما الوجه الثاني: هو أن أديان الأنبياء السابقين كانت لعصورهم ثم انتهت، بينما دين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جاء خاتماً للأديان، ليبقى خالداً لكل الأزمان، فكان لا بد لأهل بيته من بعده أن يفسروه، وينشروه بين الناس في كل جيل. لذلك قال لنا الرسول صلى الله عليه وآله: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض؛ فاستحسن الحاضرون هذا الجواب من السلطان (خدا بنده) وأثنوا عليه، فبالصلاة عليه يدوم دينه وشريعته، لأنهم بمثابة العِلَّة المبقية لحياة شجرة الإسلام في ثمرها وإيتاء أكلها كل حين..، ومن بترها فكأنما فصل الثقلين وأنقص الدين الذي أكمله الله بهم، كما في آية إكمال الدين وإتمام النعمة..

١- أعلام الدين في صفات المؤمنين، الحسن بن محمد الديلمي، ص ٣٨٥

الحلقة الأولى

الدفاع عن مقامات رسول الله صلى الله عليه وآله

مثلما حجر الشرك والجاهلية كسر رباعية رسول الله ﷺ فإن السهم المحدد الذي أطلقه المتأخرون من المشككين بمقامات رسول الله ﷺ، قد أدمى قلبه الشريف، فما من شيء أجحف للنفس من أن يضام حقها، ويبخس حظها، لا سيما تلك النفس التي منحت رشداً وأعطت وأجزلت بكل وسعها ما لم يعطه أحد من العالمين، حتى أتت على كلِّها وكل كيانها من أجل غيرها ليُردَ لها الوصل صدوداً والإحسان جحوداً، وأنكى الجحود هو الذي يأتيها من قبل اثنين، الأول هو من لا يدعه قصور فهمه واغتراره بوهمه أن يعي الحقيقة ويدركها، فيتشبث بالهمل من المرويات ليبني عليها قاعدة فهمه، والثاني من لم تكن له بادرة في علم تفرده عن غيره، فيريد أن يشط بجحوده وإنكاره كي يتميز ويعرف به، ولو على حساب رسول الله والمس بشخصه الكريم وسمعته ولا يهمه ذلك خيانته للأمانة العلمية.

وقد تجرأ هؤلاء بمحاولات واضحة من خلال التعرض لشخصية رسول الله ﷺ بالتجريح بصورة مباشرة أو غير مباشرة، محاولين ثلب أطهر النفوس وأعلاها سمواً، وأشرفها منزلة ورتبة، تلك التي فاض عطاؤها حتى ضاقت عن عطائها قنوات الدنيا وأوديتها، فلم يحتملوا قبول المقامات الرفيعة والسامية التي منحها الله تعالى لرسول الله ﷺ، فانطلقوا من دون حياء أو وجل في إنكارها والتشكيك فيها، ومن هذه المقامات مقام الشفاعة فأنكروا أن تكون له، ولهم العذر في ذلك فالمقامات الرفيعة لا يمكن تشخيصها من قبل النفوس الهابطة الضحلة.

إن غاية ما احتجوا به أن الشفاعة من مختصات الله سبحانه وتعالى لا يشترك فيها معه أحد، ومن ادَّعى غير ذلك فهو مشرك، محتجين بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾[1]، ﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّه﴾[2]، فلا شفاعة ترتجى من أحد لأحد، ثم هم يقولون إن ترسيخ مفهوم الشفاعة وتغذيتها في العقول، ينتهي بها إلى الاتكالية طالما هناك من يشفع ويدفع، فلا عمل بعد ذلك وليذنب من يذنب اتكالاً على شفاعة رسول الله ﷺ.

لا خلاف أن من تعريفات الشفاعة إنها احتياج إنساني يوجب استزادة الخير والثواب أو درء الشر والعقاب، وهي من مظاهر حسن تدبير الله سبحانه وتعالى، ومن شواهد رحمته، اختصها لنفسه، فهي بيده وتحت استيلائه وقدرته، يمنحها للشافع كرامة، وللمشفوع فيه رحمة، وقد تلبَّس الشيطان على كثير من الناس، في تخليط وحي الله عليهم، فاعتقدوا نتيجة هذا التخليط أن لا صحة للشفاعة في القرآن، وخلافنا في هذا أصلاً هو كون هاتين الآيتين اللتين استشهدوا بهما لا يختصان في الشفاعة في شيء، فظاهر الآيتين دال على أن الله هو من يقدر الهدى والضلالة ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[3]، والنبي ليس له ذلك مستقلاً، فلله الأمر كله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾[4]، ولا نقول خلاف ذلك، ولكنا نقول إنّ الكلَّ يتفق على أن وجود رسول الله ﷺ هو محض خيرٍ في الدنيا والآخرة، فإنّ تحقق أثر وجوده في الدنيا فقط كهداية الناس ورشادهم وكان سبباً لدفع الضر عنهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ

١- سورة المزمل، الآية ٢١.
٢- سورة المطففين، الآية ١٩.
٣- سورة القصص، الآية ٥٦.
٤- سورة آل عمران، الآية ١٢٨.

وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [٥]، وجلب المنفعة لهم والخير والغنى من فضله، ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [٦]، كما يزعم البعض وأن أثر وجوده يقع ضمن حدود واعتاب الدنيا فقط، ولا أثر لوجوده في الآخرة، باعتبار أن الآخرة هي دار حساب وجزاء وليست محل ابتلاء واختبار، لتكون مهمة الهداية والرشاد سيالة جارية.

إنّ هذا الكلام يتنافى مع العقل والمنطق، وينفي كون وجوده خير محض، إذ إنّ الخير المحض لا بدَّ أن يكون في كل الأحوال والأزمان والعوالم ولا يقتصر على عالم دون آخر، صحيح أن الآخرة ليست دار ابتلاء واختبار، ولكن أثر وجود رسول الله ﷺ هناك يأخذ بعداً آخر، وأن مهمته في الآخرة تختلف عن مهمته في الدنيا، ولا يمكننا أن نتصور مهمة تعود بالنفع ودفع الضرر عن الناس – لا سيما المذنبين منهم -تتناسب مع أجواء يوم القيامة مثل الشفاعة.

ثم يعيدون الكرة قائلين إنّ قلتم إنّ هاتين الآيتين لا علاقة لهما بالشفاعة فما رأيكم بهذه الآية ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [٧]، ألا ترون أن الآية تنفي الخلة والشفاعة على وجه العموم، لا سيما ورودهما (خلّة، شفاعة) نكرة والنكرة تفيد العموم أي لا خلة ولا شفاعة مطلقاً يوم القيامة، وهنا يصدر القول إنّ مناسبة ذكر الشفاعة نكرة تفيد العموم، هذا معروف ولا خلاف عليه، ولكن العموم قد يخصص من قبيل قوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [٨]، ولو كان العموم لا يخصص فهذا يعني نفي جنس الشفاعة مطلقاً، ومؤدى هذا القول لا وجود لشفاعة الله سبحانه وتعالى ولا لوجود شفاعة الأنبياء والمرسلين و الأولياء والصالحين ولو على نحو الوسيلة والواسطة، وهذا يتنافى مع سياق الآيات التي ثبتت الشفاعة فيها لله سبحانه وتعالى، وللأنبياء والمرسلين وغيرهم من قبيل قوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٩]، وقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [١٠]، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [١١].

ثم إنّ ورود لفظة الشفاعة نكرة وكانت تفيد معنى إنكار الشفاعة أصلاً كما ذهبوا إليه، فهذا يعني إنها قيد زائد وفضلة لا مبرر لوجودها، وذكرها في الآية يتنافى مع قواعد المنطق، فمن القبيح قولنا مثلاً (الحجر لا يسمع)، لعدم الملكة في الحجر، ومخرج هذه الآية في الشفاعة عام والمراد بها خاص بمعنى إنها وإن كان منطوقها عام إلا أنها اختصت بأهل الكفر بالله ومشركي العرب الذين اتخذوا أرباباً من دون الله يعبدونها، فلا شفاعة لهم مطلقاً في يوم لا بيع فيه ولا خلّة ينصرونهم، بقرينة ذيل الآية ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، فكأن الآية تريد أن تقول حرمنا على الكافرين النصرة من الأخلاء والشفاعة من الأولياء، وحرماننا لهم من النصرة والشفاعة ليس فيه ظلم لهم وهذا يفهم من منطوق الآية، ويمكننا أن نستفيد من المفهوم المخالف للآية أن أهل ولاية الله يشفع بعضهم لبعض، فالآية دالة على إثبات الشفاعة لا نفيها، فثبت أن ما ذكرتم من نفي الشفاعة، لم يقتض نفياً على الإطلاق، بل النفي انصرف إلى بعض الخلائق، ووجب القول بثبوتها لبعضهم.

وقد ينبري قائل منهم فيقول إنّ القرآن لا يأتي بلفظة زائدة إنما جاء بها على نحو المقابلة، بمعنى إنكم وإن اتخذتم أساليب متعددة ومتنوعة في معاملاتكم الدنيوية تنفعكم في تسيير أموركم كالبيع والتوسط والشفاعة ونصرة بعضكم بعضاً، ولكن هذه الأساليب لا تنفعكم في الآخرة، بل لا وجود لها أصلاً، فقط موجودة في أمانيكم وأحلامكم.

وحقيقة الرد على هذا القول يكمن في أن هذه الأساليب هل هي من اختراعات الإنسان أم أنها أمور فطرية أوجدها الله وكيفها الإنسان لخدمته وتسيير أموره في هذه الدنيا، والقول واحد هو إنها فطرة الله التي فطر الناس عليها بدليل لو حاولت أن تضرب شخصاً ما أمام طفل صغير لا يعي حقيقة ما يدور حوله لبدرت منه حركة توحي بعدم رضاه ونصرة من أردت ضربه بالبكاء أو التلويح باليدين، ولو أنك رأيت إنساناً يتظلم تحت يد إنسانٍ آخر بدا لك إنه يريد أن يقتص منه، فإنك سوف تشعر بقوة خفية تدفعك نحو التشفع له والتوسط بقدر ما يسمح به جهدك وضميرك، إذن فهذه أمور فطرية أوجدها الله فينا رحمة لنا في هذه الدنيا، ومن باب الأولى أن تكون هذه في الآخرة لشدة الاحتياج لها هناك، والله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يوصف بالرحمة في الدنيا دون الآخرة، قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَجَعَلَ مِنْهَا رَحْمَةً فِي الدُّنْيَا تَتَرَاحَمُونَ بِهَا، وَعِنْدَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ رَحْمَةً، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ضَمَّ هَذِهِ الرَّحْمَةَ إِلَى التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ رَحْمَةً، ثُمَّ عَادَ بِهِنَّ عَلَى خَلْقِهِ).

هذا ما جادت به هذه الحلقة وللحديث تتمة في الحلقة الثانية إن شاء الله تعالى.

٥- سورة الأنفال، الآية ٣٣.
٦- سورة التوبة، الآية ٧٤.
٧- سورة البقرة، ال|آية ٢٥٤.
٨- سورة النجم، الآية ٢٦.
٩- سورة الزمر، الآية ٤٤.
١٠- سورة الأنبياء، الآية ٢٨.
١١- سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

ميثاق الله مع العباد

قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾

سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.

الشيخ جاسم محمد الجشعمي

اتفق المفسرون في تفسير هذه الآية المباركة على أن لله ميثاقاً مع عباده. ومحتوى هذا الميثاق هو أن الله أخذ من بني آدم جميعهم وكل من يولد من البشر إلى يوم القيامة إقراراً واعترافاً بربوبيته وعلى لزوم طاعته، ولكنهم اختلفوا في الكيفية التي يكون عليها هذا الميثاق والإقرار. فجماعة منهم قالت إنَّ الله تبارك وتعالى أخرج من صلب آدم ذريته كهيئة الطير وأعطاهم فهماً وعقلاً، وقال لآدم إني آخذ على ذريتك ميثاقهم أن يعبدوني ولا يشركوا بي وعليَّ أرزاقهم. ثم قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، وهذا الرأي ذهب إليه كل من ابن كثير في تفسيره (تفسير القرآن العظيم) والطبري في تفسيره (جامع البيان) وغيرهما.

وأورد جماعة أخرى من المفسرين في تفسير الآية آنفة الذكر أن الله أخرج من أصلاب آباء بني آدم ذراريهم وأخذ منهم الإقرار على ربوبيته والطاعة له، حيث ذهب إلى هذا الرأي أغلب المفسرين من أتباع أهل البيت عليهم السلام والمذاهب الإسلامية الأخرى. كما أضاف مفسرو مدرسة أهل البيت عليهم السلام إلى ذلك أن إقرار بني آدم عليهم السلام شمل نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله، وولاية الأئمة الميامين عليهم السلام من بعده والتسليم بإمامتهم، وفي مقدمتهم الإمام علي عليه السلام وخاتمهم الإمام المهدي عجل الله فرجه، وأخبرهم الله تعالى أنه عز وجل سيقيم دولة العدل الإلهي. وهو ما جاء في الكثير من روايات الواردة عن النبي الأكرم وأئمة أهل البيت عليهم السلام.

ولعل فيما أورده العلامة السيد الطباطبائي التفاتة جميلة في تفسيره (الميزان في تفسير القرآن) لهذه الآية المباركة، خلاصتها: إن الإقرار والاستشهاد يكون في صورتين الأولى إقرار بدون الشعور بحاجة الإنسان إلى ربوبية الله تعالى، والصورة الثانية إقرار مع الشعور بحاجة الإنسان إلى ربوبية الله تعالى، والذي وقع في بني آدم هو إقرارهم بوحدانيته وبربوبيته مع شعورهم بحاجتهم إلى ربوبية الله ورعايته لهم. وإن هذا الإقرار والشعور يبقيان يلازمان الإنسان منذ ولادته في الدنيا إلى يوم القيامة، وهذه الحالة تسمى بالفطرة، ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1]، ولكن الإنسان في أحيانٍ كثيرة يغفل عنها بسبب انشغاله بأمور الدنيا، ويقيناً أنهم سوف يتذكرون إقرارهم في الآخرة، ولذلك سيقولون لله تعالى يوم القيامة بلى شهدنا وأقررنا على ربوبيتك وعلى لزوم طاعتك، كما في صريح قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾.

إذن نحن أمام أمرٍ هو غاية في الأهمية يمكن أن نفهمه من هذه الآية المباركة وهو إقرار كل إنسان يولد في هذه الدنيا بالربوبية لله تعالى ولزوم الطاعة له. كما يهمنا كذلك انشغال الإنسان عن ميثاقه وإقراره لله تعالى، وتغافله عن عمدٍ أو سهوٍ عن ذلك، وهو نتيجة طبيعية لانقطاعه لأمور الدنيا ومشاغلها وإغراءاتها ووساوس الشيطان.

وبما أن الدنيا هي دار ابتلاء وامتحان جعلها الله ليمحص في الإنسان، فهنا يثار تساؤل مفاده: هل أن الله عز وجل يتركنا في الدنيا بعد إقرارنا بربوبيته ولزوم طاعته؟ ويدعنا عرضة لتجاذبات الحياة انشغالاتها وإغراءاتها، ووساوس الشيطان ومكائده التي تلهينا وتنسينا عن إقرارنا بالربوبية لله تعالى ولزوم طاعته؟

والجواب، كلا، وحاشى لله تعالى أن يفعل ذلك، ويترك الله الإنسان ليكون فريسة سهلة للشيطان ووساوسه ولإغراءات الدنيا ورغباتها الفانية، فقد منحنا الطافاً كثيرة لو استفدنا منها ووظفناها كما يريد الله تعالى، لتجاوزنا جميع ابتلاءات الدنيا وإغراءاتها.

وهذه النعم الكبرى في حياة الإنسان كثيرة منها العقل وهو الهادي والمرشد للإنسان، يمكن أن نميز به الخير من الشر، كما تفضل وأنعم بإرساله الرسل والأنبياء وما جاؤوا به من تعاليم تهدف لصلاح البشرية ورقيها. وفي مقدمة تلك النعم والألطاف الإلهية ما خصنا به من كرامة ببعث نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله الذي حمل إلينا معجزة السماء الكبرى، القرآن الكريم، الثقل الأكبر، والأئمة الهداة عليهم السلام الثقل الأصغر، وهم خلفاؤه من بعده، كما بين ذلك الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: (أمّا الثقل الأكبر فكتاب الله عزّ وجلّ، سبب ممدود من الله ومنّي في أيديكم، طرفه بيد الله والطرف الآخر بأيديكم، فيه علم ما مضى وما بقي إلى أن تقوم الساعة، وأمّا الثقل الأصغر فهو حليف القرآن، وهو عليّ بن أبي طالب وعترته عليهم السلام، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض)[2].

فإن استفدنا من هذه النعم الإلهية وهي مشاعل نور وهداية للإنسان، كان بإمكاننا أن نتغلب على حالة الغفلة والإخلال بإقرارنا بربوبية الله تعالى، ولزوم طاعته، ونحافظ على فطرتنا السليمة التي أودع الله فيها الإيمان به، وبما أوجبه علينا من أوامر ونهانا عنه (جل وعلا).

١ـ سورة الروم، الآية ٣٠.
٢ـ الخصال، الشيخ الصدوق، ص٦٦.

من أوّل من صنف كتاباً في علم التفسير؟

❁ غفران كامل كريم

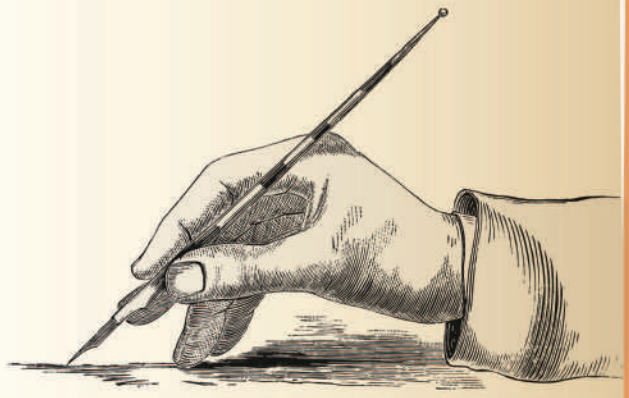

عنوان المقال يشير إلى سؤال استفهامي جوابه هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالي[1]، وُلِدَ في عام (٤٥هـ)، (وكان مولى لبني والبة بن الحارث، وهي بطن من بني أسد بن خزيمة)[2]، (يُكنى بأبي عبد الله وأبي محمد)[3]، وله ألقاب عدة منها: ابن أم دهماء، وهذا لقب سماه به شيخه عبد الله بن عباس[4].

(يُعتبر سعيد أوّل من صنف كتاباً في علم التفسير)[5]، ولقد ذكر ابن النديم في باب الكتب المصنفة في تفسير القرآن كتابا لسعيد في تفسير القرآن سماه: (تفسير

١ـ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٦، ص ٢٦٦.
٢ـ البيان والتبيين للجاحظ، ج ٣، ص ٦٣.
٣ـ وفيات الأعيان لابن خلكان: ص ١١٢.
٤ـ الطبقات الكبرى لأبن سعد،ج٦، ص٢٥٨.
٥ـ تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: حسن الصدر: ص٣١٩.

سعيد بن جبير)[6]، ويشير إلى أنه كان موجوداً بعد عهد سعيد ثم فقد، وهذا ما ذكره العلامة المحقق المرحوم الشيخ أغا بزرك الطهراني في موسوعته (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) حيث ذكر تفسيراً لسعيد بن جبير معتمداً على ما أورده ابن النديم في الفهرست)[7].

(وقد أدرك سعيد بعضاً من أصحاب عبد الله بن مسعود وكان يقول فيهم: كان أصحاب عبد الله بن مسعود سُرُجَ هذه القرية)[8]، فهو (أعلمُ التابعين على الإطلاق)[9]. والجدير ذكره أن قيمة تفسير التابعين من حيث الرواية تتجلى في:

أ- العدد الكبير للآثار المنقولة عن التابعين.

ب- كثرة الطرق والشواهد لتفسيرهم.

قالوا فيه

اتفق المسلمون على وثاقته فهو ثقة وفقيه جليل القدر، فقال في مدحه النووي: (وكان سعيد من كبار أئمة التابعين ومتقدميهم في التفسير والحديث والفقه والعبادة والورع وغيرها من صفات أهل الخير)[10].

٦ـ الفهرست لابن النديم: ص ٥٧.
٧ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، أغا بزرك الطهراني : ج ٤، ص ٢٤١.
٨ـ فجر الإسلام، أحمد أمين: ج ٧، ص ١٨٤.
٩ـ إيمان أبي طالب عليه السلام: الحائري: ص ٣٢٢١.
١٠ـ تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ج١، ص٢١٦.

قال التابعي سفيان الثوري: (خذوا التفسير عن أربعة؛ سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة، والضحّاك)[١١].

وقال قتادة: (كان أعلمُ التابعين أربعة: كان عطاء ابن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جبير أعلمَهُمْ بالتفسير، وكان عكرمة أعلمهم بالسير، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام)[١٢].

(وكان سعيد بن جبير يُسمّى جَهْبَذ العلماء)[١٣]، (وكان يختم القرآن في ليلتين)[١٤]، (وكان يؤم الناس في شهر رمضان)[١٥].

أبرز تفسيراته

للإمام سعيد بن جبير جهود مباركة في تبيان بعض مبهمات القرآن، إذ كان ﷺ (أعلمُ التابعين بالتفسير، كما أثنى عليه قتادة وسفيان الثوري)[١٦] مع شيخيه ابن عباس، أما ابن حزم فقد وضعه في الطبقة الثانية من التابعين بين أصحاب الفتيا من أهل الكوفة وهذا يعني أن مركزه في التفسير بقي في الصدارة، ونحن حتى إن سلمنا برأي ابن حزم الأندلسي فالطبقة الثانية من أصحاب الفتيا وهي أيضاً طبقة مرموقة في عصرها[١٧].

واليكم السور التي فيها مبهمات وقد بينها سعيد بن جبير ﷺ:

١- سورة البقرة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[١٨] (عن سعيد بن جبير إنهم كانوا أربعة آلاف)[١٩].

٢- سورة المائدة - قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[٢٠]، قال سعيد بن جبير: (هم عدي بن حاتم، وزيد بن المهلهل الطائيين)[٢١].

وغيرها الكثير من المبهمات القرآنية التي فسرها سعيد بن جبير وقد يضيق بها المجال والمتسع في هذه العجالة.

أسلوبه التفسيري

قد يكون سعيد أوّل من بدأ الفصل بين هذه العلوم، إذْ وَرَدَتْ إشارات ذات دلائل تاريخية تبيّن أن سعيداً سبق ابن مجاهد وألف كتاباً في القراءات الخمس، وسماه كتاب الخمسة ذكر فيه خمسة من القُرّاء.[٢٢]

إذ تميز أسلوبه التفسيري؛ بأنّه إذا أراد أن يفسر آية لا يكتفي بروايتها عن شيوخه بمعناها اللفظي والسياقي التفسيري فقط بل نراه يسند ما فسره بدليل من الحديث النبوي فيكشف ما غَمُضَ أو التبس أو داخَلَهُ الشَّكُ من الرواية؛ فنجده مثلاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى..﴾[٢٣]. يقولُ سعيد: (إنّ ذلك الإخراج كان حقيقياً، وأنَّ الله سبحانه وتعالى أخرج وُلْدَ آدَمَ مِنْ أَصْلابِ آبَائِهِمْ، فَقَرَّرَهُمْ بِتَوْحِيدِهِ، وأَشْهَدَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ (وَأَخَذَ) شَهادَتَهُمْ بذلك وإقرارَهُمْ ،به ثم يذكر أحاديث تسند ما ذهب إليه؛ يُقوّي بعضها بعضاً)[٢٤].

مما يجدر الإشارة إليه أن ما أخذه سعيد بن جبير من تفسير تواتر عن أهل البيت ﷺ في تفسير لبعض الآيات التي خصهم الله بها وحسدهم عليها أعداؤهم وكانت لهؤلاء مواقف منها؛ ولكن سعيداً أخذ بها. قال سعيد في تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾[٢٥]، بأنه عنى بالنور محمداً ﷺ وأضافَهُ إلى نفسه تشريفاً له فيكون المعنى مثل (محمد رسول الله ﷺ)[٢٦].

والمتتبع لأسلوب سعيد وهو يفسر هذه الآية، يجد أنّه من أوائل التابعين الذين وظّفوا علم الاستدلال الذي تطور ونما بعد قرون كعلم أساسي تستنبط به كثير من القواعد الفقهية، وتُحلُّ به كثير من المشكلات الخلافية التي ظلت تستغل لتفرقة المسلمين. فحصر العام بالخاص والجمع بين الآراء التفسيرية كان بداية تحول كبير له أثره وآثاره في علم التفسير. واتصف أسلوب سعيد بالبساطة والواقعية والأخذ بالمعنى السياقي للنص القرآني بالاستناد إلى لغة العرب التي نزل بها القرآن بعيداً عن الآراء الفلسفية والاجتهادية التي أدخلت في التفسير بعد عهد التابعين[٢٧].

١١- إيمان أبي طالب، الحائري: ص٣٢١.
١٢- الإتقان للسيوطي : ج٢، ص ١٨٩.
١٣- مناقب آل أبي طالب، بن شهر شوب: ج٥، ص٧٠.
١٤- الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج ٦، ص ٢٥٩ .
١٥- مجمع البيان، الطبرسي: ج ١٠، ص ٥٥٨.
١٦- إيمان أبي طالب، الحائري: ص ٣٢١.
١٧ جوامع السيرة، ابن حزم الأندلسي، ص ٣٣٠.
١٨- سورة البقرة: ٢٤٣.
١٩- الحاكم، المستدرك، ج٣، ص٣٣٩.
٢٠- سورة المائدة، آية ٤.
٢١- مفحمات القرآن، ج١، ص٨.
٢٢- البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج ١، ص ٣٢٩.
٢٣- سورة الأعراف، الآية : ١٧٢.
٢٤- الفرائد الغوالي على شواهد الأمالي للسيد المرتضى، تأليف الشيخ محسن النجفي : ج ١، ص ١٦٧.
٢٥- سورة النور، الآية ٣٥.
٢٦- مجمع البيان للطبرسي : ج ٧-٨، ص ١٤٢ - ١٤٣.
٢٧- سعيد بن جبير شيخ التابعين وإمام القراء، البياتي، ص٦٢.

اختصاص التوبة بنشأة الدنيا

التوبة هي الرجوع الاختياري عن السيّئة والمعصية إلى طاعة وعبودية الله تعالى. وهي رأس مال السالكين، ومفتاح استقامة السائلين ومطلع التقرّب إلى ربّ العالمين، ومدحها عظيم وفضلها جسيم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾، فالآية مطلقة غير مقيّدة، تشمل جميع مراتب التوبة والطهارة، وجاء لفظ (المتطهّرين، والتوابين) بصيغة المبالغة دالاً على الكثرة في التوبة والطهارة من حيث النوع، والعدد، بمعنى أنّ الله تعالى يحبّ جميع أنواع التوبة سواء كانت بالاستغفار أو بامتثال أوامره، والكفّ عن نواهيه..

إنّ النفس عندما تخلق تكون صفحة بيضاء نقية، وخالية من كل رسم ونقش، لا توجد فيها الكمالات الروحية، ولا تتّصف بالنعوت المضادّة لها، لكن الله تعالى أودع فيها نور الاستعداد والأهلية لنيل أيّ مقام رفيع أو وضيع، وجبلت فطرتها على الاستقامة، وعجنت طينتها بالأنوار الذاتية؛ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[1]. وعندما يجترح العبد سيّئة تحصل في القلب ظلمة سوداء، ومع زيادة وتضاعف المعاصي يغشى الظلام والسواد القلب كلّه، وينطفئ نور الفطرة ويبلغ مرتبة الشقاء الأبدي.

فإذا انتبه الإنسان قبل أن يستوعب الظلام والسواد كلّ القلب، وبلغ منزلة اليقظة، ثم دخل منزلة التوبة النصوح، زالت الحالات الظلمانية والكدورات الطبيعية، وعاد إلى الحالة الفطرية النورانية الأولى، وهي أصل السعادة (الإيمان بالله تعالى)، ويصبح العبد قريباً من الله تعالى ومن دار كرامته، ومبتعداً عن معصيته والشرك به، ولا يتحقّق هذا كله إلّا في ظرف الاختيار (الحياة الدنيا)، أمّا في ظرفٍ لا اختيار فيه فلا مجال لتوبة العبد، ولا مجال إلى سلوك طريقي (الصلاح والطلاح)، (والسعادة والشقاوة)؛ قال تعالى: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[2]. وأما الآية فتشير إلى الذين لا تقبل توبتهم، وهي تصنفهم إلى طائفتين، وهما:

الطائفة الأولى

أولئك الذين يعملون السيئات ويرتكبون المعاصي ولا يتوبون إلا بعد عروض الموت عليهم، فاذا قدم الموت على أحدهم واصبح في حالة الاحتضار على فراش الموت قال: اني تبت الآن وندمت على ما فعلته من الذنوب والمعاصي، فمثل هذا الشخص لا تقبل توبته في هذه الحالة، ولا جدوى من توبته ولا أثر لها. والسبب في عدم قبول هذا النوع من التوبة واضح، لأن الإنسان عند الاحتضار وفي حضرة الموت تنكشف له الحجب والأستار، فيرى ويشاهد ما لم يكن يراه ويشاهده من قبل، فهو يرى بعد انكشاف الغطاء عن عينيه بعض الحقائق المتعلقة بالعالم الآخر، ويشاهد بعينيه نتائج أعماله التي ارتكبها في هذه الدنيا، وتتخذ القضايا التي كان يسمع بها عن حقيقة الموت وجزاء الأعمال صفة محسوسة، وفي هذه الحالة فإنّه من الطبيعي أن يندم كل مجرم على جرمه وأفعاله السيئة، ويفرّ منها فرار الذي يشاهد ألسنة النيران تقترب من جسمه ، فهذه توبة لا تقبل من صاحبها، لأنّ اليأس من الحياة الدنيا، وهول المطّلع هما اللذان أجبراه على أن يندم على فعله ويعزم على الرجوع إلى ربّه.

إنّ المانع من قبول توبة الإنسان عند القرب من الموت إذا شاهد أحوالاً وأهوالاً صارت معرفته بالله تعالى ضرورية، ومتى صارت معرفته بالله ضرورية سقط التكليف عنه، والشاهد القرآني على ذلك هو حادثة غرق فرعون ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[3]. الله يحدثنا في هذه الآية عن فرعون فعندما كان طاغية، ومستكبراً، ومفسداً في الأرض -في حالة الاختيار-لم يؤمن بالله تعالى ولم يصدق رسالة موسى عليه السلام، وعندما كان يطارد ويلاحق موسى عليه السلام وقومه، ثم أحس بخطر الغرق والموت والهلاك سارع إلى إعلان التوبة والإيمان، لكن الله تعالى لم يقبل توبته لأنه لم يقل آمنت إلا بعد أن رأى مخاطر أعماله ونتائج ذنوبه واستكباره ماثلةً أمامه، فهو لم يعلن هذا الموقف، إلا بعد أن كان مجبراً، وهذه الحالة لا جدوى فيها من التوبة، ولا أثر فيها للإيمان.

إنّ هؤلاء أشبه ما يكونون بالمجرمين الذين اذا شاهدوا أعواد المشنقة واحسوا بالحبل على رقابهم ندموا على جرائمهم وأفعالهم السيئة ومن الواضح ان مثل هذه التوبة وهذا الندم، لا يعد فضيلة ولا مفخرة ولا تكاملاً، ولهذا لا يكون لها أيّ أثر.

الطائفة الثانية

أولئك الذين يتمادون في الكفر ثم يموتون كفاراً، فإنَّ الله تعالى لا يتوب عليهم، وإنّ إيمانهم لا ينفعهم في ذلك الوقت. فلا يقبل منهم توبة، وليس أمامهم سوى خيار واحد هو العذاب والهلاك يوم القيامة.

والسبب هو كما أنّ التوبة عن المعاصي لا تقبل عند القرب من الموت، كذلك التوبة والإيمان لا يقبل بعد الموت، ألا ترى أنّ أهل الآخرة لمّا صارت معارفهم ضرورية سقط التكليف عنهم، وإن لم يكن هناك موت ولا عقاب، لأنّ توبتهم عند الحشر والحساب وقبل دخول النار غير مقبولة، وإنّ تبيّن ندمهم، فليس كلّ ندم توبة، وليس كلّ توبة مقبولة.

وإذا كانت بعض النفوس تميل في بعض فتراتها إلى المعصية وارتكاب الذنب فإن باب التوبة مفتوح على مصراعيه فمن تاب وعمل صالحاً فإن الله تعالى يتوب عليه... فالتوبة (الجدية - الصحيحة - النصوح) تبدأ بالندم والإقلاع عن المعصية، وتنتهي بالعمل الصالح وهو في الوقت ذاته ينشئ التعويض الإيجابي في النفس للإقلاع عن المعصية.

١- سورة النحل، الاية: ٧٨.
٢- سورة النساء، الايتان: ١٧-١٨.
٣- سورة يونس، الاية: ٩٠.

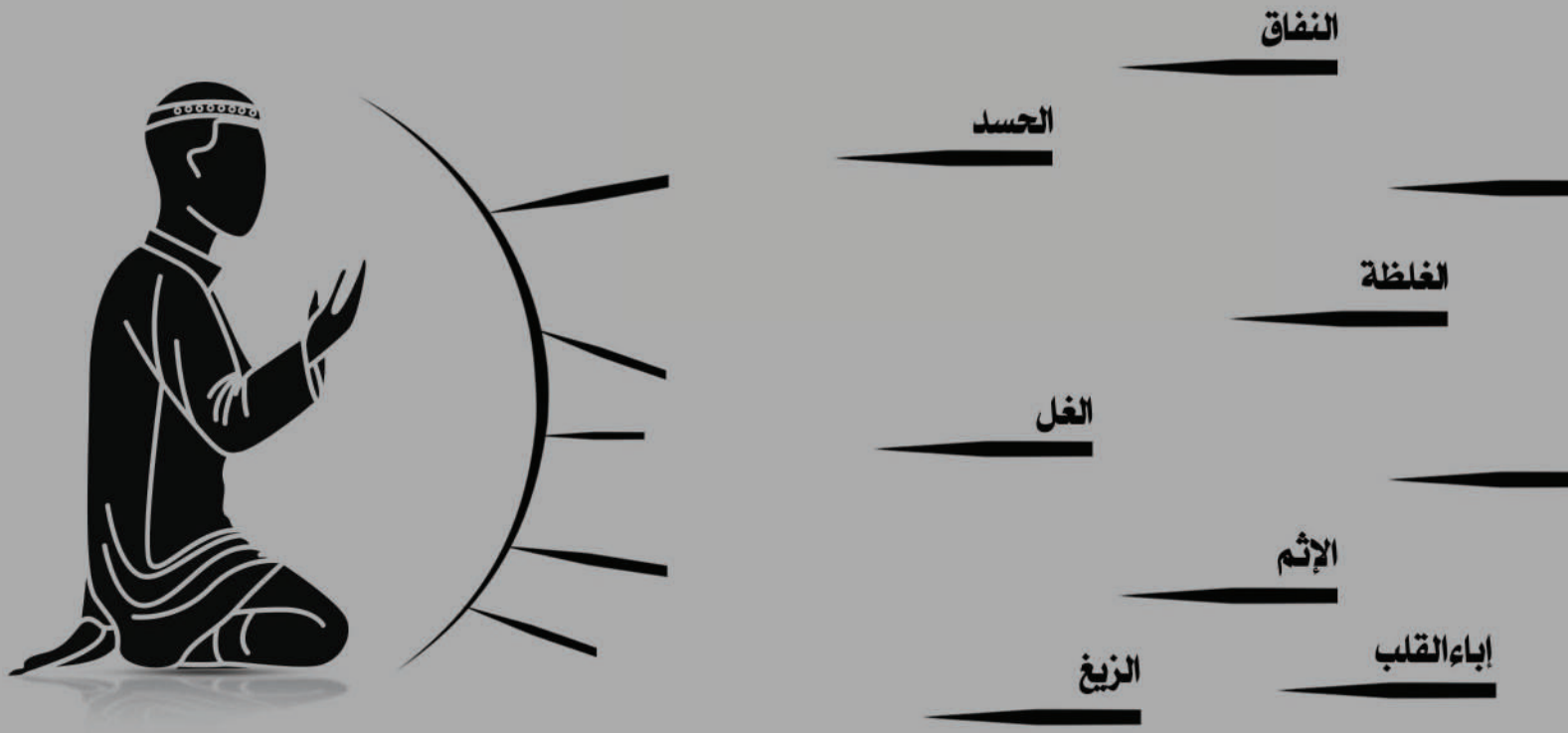

مرض القلب وعلاجه

كرار رزاق المحنة

هناك بعض المشاكل التي نتحسسها لكننا نقع فيها، وقد تغيب عنّا الرؤية فيها، والحياة الدنيا لا تخلو من الابتلاءات، وقد يكون الابتلاء قرين المؤمن.. وأمير المؤمنين عليه السلام في كلام له يبين ذلك حينما قال: (أَلَا وإِنَّ مِنَ الْبَلَاءِ الْفَاقَةَ - وأَشَدُّ مِنَ الْفَاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ - وأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ - أَلَا وإِنَّ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ)[1].

١- نهج البلاغة، خطب الأمام علي عليه السلام، تحقيق صالح، ص٥٤٥.

ألا وإن من البلاء الفاقة، حيث إنَّ الفقر يجعل الإنسان دائماً في ضيق وحرج، يحتاج كثيراً من الأمور، قوامها المال، وهو لا يملكه، والإمام يشير إلى أنّ الفقر هذا من البلاء، والإنسان إذا قصر نظره على هذا الجانب.. أي الفقر والفاقة إلى المال، يراه أشدّ بلاءً، ودائماً يقارن نفسه مع الذين لا يعانون من هذا الجانب.. أمير المؤمنين ﷺ لا ينكر ذلك، لكن يقول هذه المسألة ليست هي المسألة الأشدّ إذ إنَّ هناك مسألة أشدَّ منها.. فقضية الفقر قابلة للزوال، كونها من الأمور الطارئة على الإنسان.. ولكنَّ هناك أموراً ممكن أن تكون أشد على الإنسان حيث يقول ﷺ: (وأشدُّ من الفاقة مرض البدن).

حيث إنّ مرض البدن يعيق الإنسان، لأنَّ هناك أعمالاً وعبادات وفرائض تحتاج إلى جهد، كالصوم والجهاد والحج. ولكنَّ مرض الإنسان قد يعيقه عن عمل هذه الأشياء. ثم يبين أمير المؤمنين ﷺ إن هذه الحالة ليست هي الأشدّ مطلقاً أيضاً وإنما هناك حالة أشدّ منها بقوله: (وأشدّ من مرض البدن مرض القلب)، فلم يقل ﷺ إنّ هناك حالة أشدّ من مرض القلب، حيث إنّه الطامّة الكبرى التي تصيب بعض النفوس - والعياذ بالله - فالإنسان إذا كان فقيرًا ممكن أن يستغني، وإذا كان سقيماً فهناك أمل بالشفاء، أما إذا كان مريض القلب فهذه مشكلة حقاً، خصوصاً عندما تتبدل القناعات بحسب هذا المرض، فيرى الحق باطلاً ويرى الباطل حقاً.

فكم من إنسان صحيح البدن، ويملك الكثير من الأموال، ولكنه مريض؛ أي ميت القلب. فالذي وقف ضد الأنبياء ﷺ ليس الفقير أو المريض بدناً، بل وقف ضد الأنبياء مرضى القلوب، وشوهوا ووقفوا ومنعوا..

إنّ الإنسان عندما يواجه مريض القلب؛ لا يستطيع أن يصل معه إلى نتيجة. لذلك يريد أكثر الناس أن يبتعدوا عن الأمراض القلبية، التي يكون منشأها قدعلَّلَ ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز منها:

الإثم

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[1]. فالآثام من الأمراض التي تُسبّب الشك والسقم للقلوب؛ وهي كلُّ ذنب صغير أو كبير، فإن لم تُدفع تحوّلت إلى وسوسة، فإن لم تُدفع تحوّلت إلى شهوةٍ، فإن لم تُدفع تحوّلت إلى إرادةٍ، فإن لم تُدفع قويت فصارت عزيمةً على الفعل؛ فاستحال دفعها.

الزيغ

ويعني الميل عن الهدى والاستقامة، والانحراف عنها إلى غيرها من وجوه الضلالة والعصيان. قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾.[2]

الغلّ

ويعني الحقد الكامن في النفس، والعداوة والضغينة، قال الله -تعالى- على لسان عباده المؤمنين: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

إباء القلب

ويعني رفض الإذعان للحقّ، ورفض الاستجابة لما أمر الله به من الإيمان، والركون إلى الكفر والفسوق والعصيان.

الغلظة

وهي شدّة القلب وقسوته، وهي ضدُّ الرّقة واللين ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[4].

النفاق

وهو من أخطر أمراض القلب؛ حيث يُؤدي إلى موتها إذا ما استفحل واستطال شرره ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[5].

علاج أمراض القلوب

يكون باتباع الوسائل والأساليب التي عينها الإسلام منها:

- قراءة القرآن الكريم، والحرص على تدبّر آياته؛ لأنَّ فيها الشفاء من هكذا أمراض وعلل.
- التوبة النصوح؛ فالتوبة من الذنوب والسيئات تُطهّر القلوب، وتُطيّبها من الأدران والأمراض.
- الأعمال الصالحة، والإكثار من نوافل العبادات من صلاةٍ وصيامٍ، والحرص على الأذكار وزيارة مراقد أهل البيت ﷺ، والحرص على الصدقة وبذل الخير للناس.
- مجالسة الأخيار والصالحين، واجتناب رفقاء السوء.
- كمال المحبة لله تعالى؛ فلا يُحبّ العبد ولا يُبغض إلّا في الله تعالى؛ فإذا امتلأ القلب بمحبة الله تعالى كان ذلك سبباً عظيماً من أسباب علاج أمراض القلوب.
- الإخلاص ومراقبة النفس ومحاسبتها؛ فالنفس إن لم تُحاسب وتُراقب اتّبعت الهوى وأشرفت على الهلاك.

ولا بدَّ للإنسان عندما يعلم بهذه الأشياء، أن يوفق لمجموعة من الطاعات.. إنَّ المؤمنين المنيبين تطمئن قلوبهم بذكر الله تعالى، ولذلك فلهم الحياة الطيبة في الدنيا، وحسن المآب في الآخرة، بل إنَّ ذكر الله تعالى فعلاً يعطي سكينة النفس واطمئنان القلب. ولا بدَّ لنا أن نحيي قلوبنا بالإيمان، ونستلذ بالنعم الإلهية التي أنعم الله تعالى بها علينا. إذ إنَّ تقوى القلب هو الأفضل من هذه الأمور جميعاً، وعلى الإنسان ما دام في الدنيا أن يبدأ وأن يبحث فعلًا عن تقوى قلبه.

١- سورة البقرة، الاية: ٤٩.
٢- سورة ال عمران، الاية: ٧.
٣- سورة الحشر، الاية: ١٠.
٤- سورة الحج، الاية: ٥٣.
٥- سورة البقرة، الآية: ١٠.

أردت أن أكون ملحدة

شعاري أن أحيا بلا دين، وهذا هو الحق اليقين، فكيف نصدق بوجود إلهين؟ أحدهما قتل مصلوباً منذ عشرات السنين، إنها خرافات لا يستوعبها الفكر الحصين، أما المسلمون فكرهي لهم مستديم ودينهم باعتقادي مشين.

❁ زينب حسين

منذ نعومة أظفاري عندما كنت في العاشرة من عمري وأنا أتلقى الدروس الدينية في الكنيسة الكاثوليكية، وكانت هناك أسئلة كثيرة تتزاحم في عقلي وتدور في ذهني وتحيرني ولا أجد لها جواباً مقنعاً، ولا رداً شافياً، فقررت أخيراً أن أعيش من دون دين واقتنعت بعدم وجود إله حقيقي.

بدأت بالبحث عن عمل عندما أصبحت شابة واضطررت أخيراً وعلى مضض بالعمل في محل وكان صاحبه يعتنق الدين الإسلامي، وهذا ما جعلني أتعامل معه بكل حذر، وكنت دائماً أراقبه باستغراب وهو يعامل زوجته بكل احترام وأدب وكان يدللها ويأخذ برأيها، وأذهل عندما تأتي النساء للمحل للسلام عليه ومصافحته وهو يعتذر منهن بكل أدب واضعاً يده على صدره ممتنعاً عن مصافحتهن وهو يقول: أنتن كالجوهرة الثمينة ولا يمكنني أن ألمسكن، وأتساءل في نفسي: يا للعجب ألا يأمرهم دينهم باحتقار المرأة وتعنيفها وسلب حقوقها؟

وذات يوم أعطاني كتاباً باللغة البرتغالية اسمه: (الرسول وأهل بيته ﷺ)، عندما فتحته وقعت عيني على سورة التوحيد ولمّا قرأت آياتها بتمعن وجدت جواباً لكل التساؤلات التي كانت تدور في بالي في السنوات الماضية، وكانت تلك اللحظة المصيرية نقطة التحول في حياتي.

قبضت على هذا الكتاب بشدة وخرجت من مكان عملي وأخذت أقرأ في صفحاته وأنا مذهولة ولمّا وصلت إلى قصة الإمام الحسين ﷺ وواقعة كربلاء في هذه الأثناء كنت جالسة في (المترو) فبدأ قلبي بالانقباض وعبراتي بالاختناق حتى انهالت دموعي بغزارة ولم أستطع حبسها ولا أدري لماذا انفعلت وتأثرت كثيراً على شخص لا أعرفه أصلاً ولم أره من قبل.

وفي اليوم التالي سألت صاحب العمل عن سبب بكائي وتعلقي بذلك الشخص وقصته المؤلمة، فأجابني: (هذا شيء طبيعي فكل الشيعة لديهم حزن وانكسار في قلوبهم كلما ذكر الإمام الحسين ﷺ وتسيل دموعهم تلقائياً رقة وحزناً عليه).

وهذا ما حدث لي بالضبط، كم أنا قاسية القلب عندما كنت أتمنى للمسلمين الموت والقتل لأنني أكرههم ولا أطيق ذكرهم ولا أتحمل وجودهم في بلادي!؟ فالإعلام أقنعنا بأن الإسلام هو دين القسوة والإرهاب والعنف، وعندما دخل الجيش الأمريكي إلى العراق كانت سعادتي لا توصف، وتمنيت أن يمحوا المسلمين من الوجود ويقتلوهم جميعاً، ولم أعلم بأن مرقد الإمام الحسين ﷺ متواجد هناك، فحبه الذي تعشق في قلبي جعلني أتحرى وأتحقق بالخفاء عن دين الإسلام وعن القرآن الكريم لمدة ستة أشهر حتى قررت أخيراً الانتماء له بعدما كنت ملحدة ولا أعترف بأي دين.

وفي يوم من الأيام استجمعت قواي وعزمت على مصارحة أهلي بالحقيقة فأخذت القرآن الكريم ووضعته أمام والدتي وقلت لها: أريد أن أصبح مسلمة، فقالت لي باستغراب: وما هو الإسلام ومن هم المسلمون؟ قلت لها بكل ثقة: انظري إلى هذا الكتاب الذي أمامك إنه يتحدث عن النبي عيسى ﷺ، وفيه سورة كاملة باسم السيدة مريم ﷺ، وهي المرأة الوحيدة التي ذكر اسمها في القرآن، وبقيت أتحدث مع أمي كثيراً عن الحقائق التي وجدتها فيه، حتى اقتنعت وآمنت هي وأبي أيضاً ولم يعارضاني، بل على العكس فقد سعدوا لأنني رجعت إلى الدين وآمنت بوجود الله تعالى وأصبحت مسلمة، وأصبحا يوقظانني لصلاة الفجر، وعندما حدثت والدتي عن موضوع الحجاب ونيتي الفعلية بارتدائه، صدمت بردها عندما قالت لي: إن السيدة مريم ﷺ كانت محجبة، فلِمَ لا يكون لكِ حجاب مثلها.

في تلك الفترة لم يكن في بلادي البرازيل معاهد أو مراكز لكي أتعرف أكثر عن الإسلام لهذا نصحني بعض المشايخ للذهاب إلى إحدى المدن الإسلامية لكي أدرس هناك، وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهتها هناك وأولها اللغة والوحدة والغربة إلّا أنني استطعت أن أتخطاها بلطف الله تعالى والإمام الحسين ﷺ الذي بفضله اهتديت وقد شملني ببركاته ووفقني لزيارته المباركة في أيام الأربعين، ومشيت سيراً على الأقدام لرؤية ضريحه المقدس، فكان أول إمام زرته وسلمت عليه ووقعت في قلبي محبته، وعاهدت نفسي بأن أزوره في كل عام، إذا شاء الله تعالى ذلك.

ولم أكن أتصور يوماً بأنني سأسكن بالقرب من مسجد (جمكران) العريق، وأتزوج من أحد خدمه المشايخ الفضلاء، لكنّ هذا ما حصل لي بالفعل! وكان مهري وشرطي الوحيد أن يتعلم لغة بلادي البرتغالية، ويصبح مُبلّغاً للرجال هناك، وأن يعلّمني الأحكام الدينية لأكون مُبلّغة للنساء، وتكلل هذا الزواج المبارك بإنجابي لطفلة جميلة أسميتها فاطمة تيمُّناً ببنت النبي الكريم ﷺ.

لقد غمرتني الألطاف الإلهية وأنقذتني المحبة الحسينية، وشملتني العناية المهدوية، وعطف الإمام صاحب العصر والزمان ﷺ، فلطالما أردت أن أكون بلا دين ولكنني آمنت بأن لا حياة من دون دين[1].

١- قصة حقيقية نقلت بتصرف.

التربية
عن طريق القصص القرآنية

لم يعتمد القرآن الكريم أسلوباً واحداً لإيصال رسالته إلى الناس، بل تعددت أساليبه وتنوعت، فهو حيناً يعتمد أسلوب الحوار، وتارة يعتمد أسلوب التربية النفسية والتوجيه الخلقي، إلى غير ذلك من الأساليب التي لا تخفى على من تأمل وتدبر كتاب الله العزيز، والأسلوب القصصي من الأساليب التي اعتنى القرآن الكريم بها عناية خاصة، لما فيها من عنصر التشويق، وجوانب الاتعاظ.

مرتضى صباح

وباعتبار أن القران الكريم كتاب منزل عن طريق الوحي إلى النبي الأكرم محمد ﷺ، وأنه كنز فريد لا مثيل له من بين جميع الكتب السماوية، فهو كتاب هداية للناس، وتبيان لجميع الأوامر المتعلقة في التربية وغيرها، وفي الواقع يوجد في كل آية معنى مبهمٌ في هذا الكتاب الفريد، إذ ممكن أن تكون هذه الكلمة بداية لفصل جديد للمعرفة الإلهية، ولقد اجتهد العلماء بإيصال المعلومات إلى الناس عن طريق نقلهم الروايات للمساهمة في معرفة علوم القرآن.

إنّ عظمة القرآن وإعجازاته الخالدة لا تخفى على أحد، فهذا الكتاب جاء مؤكداً للكتب السماوية الحقة، ومهيمناً عليها وخاتمها: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[1]، ومنقذ البشرية في الحاضر والمستقبل وفي كل زمان ومكان، ويكفي أن أعداءه والمنافقين لم يستطيعوا تحريفه أبداً وفقاً لما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.[2]

وأما القصص القرآنية فهي أحد العلوم القرآنية، وهي أكثرها إثارة للاهتمام، وقد لعبت القصة دوراً هاماً في حياة الإنسان منذ زمن بعيد، ولقد كان استعمال القصة ابتداءً في الكتب السماوية السابقة، وأهتم بها القرآن الكريم بشكل أكبر.

إن للقصص شكلاً مناسباً في إيصال الفكرة والرسالة وإتمام الحجة على الناس، ولقد كانت القصص من أهم الوسائل والأدوات في تحذير الناس وتوعيتهم عن طريق الكتب السماوية.

ومن أجمل النصوص الواردة في القرآن الكريم لإثبات حكمة القصة قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.[3]

وإنّ للقصة مفهومين، إما ان يكون هدىً ورحمة للمؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[4]، أو أن يكون عذاباً وتحذيراً للناس كقوله: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[5]، وقد وردت آيات أخرى متعددة مع اختلاف بسيط في نفس هذا المفهوم.

إنَّ قصص القرآن أنواع كثيرة أهمها القصص التربوية، التي اعتمدت في مضمونها على وقائع وأحداث تاريخية جرت على الأمم

١- سورة المائدة، الآية: ٤٨.

٢- سورة الحجر، الآية: ٩.

٣- سورة يوسف، الآية: ١١١.

٤- سورة يونس، الآية: ٥٧.

٥- سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

السالفة يستفاد منها للعظة والعبرة وتربية الجانب الأخلاقي والنفسي والتربوي.

إنَّ القصص القرآنية في سردها للأحداث التاريخية وبيان الزلات والانحرافات التي عاشتها المجتمعات السابقة، والتي دفعت كل فرد منها في اتجاه معين، بطريقة فريدة وجذابة، سوف تدفع بالمتدبرين بالشأن القرآني أن يبحثوا عن دورهم في العيش بصورة سليمة، يتجنبون فيها الأخطاء التي وقعت فيها الأمم السابقة.

ولم تهمل القصص القرآنية التربوية نصيب الطفل، ومن أجل أن تكون تلك القصص مؤثرة في نفوسهم، لا بدَّ من مراعاة تعليمهم القرآن الكريم، بصورة تتناسب مع أذواقهم وعقولهم، بحيث تصل إلى أذهانهم بصورة سريعة، الأمر الذي يتطلب الاهتمام بالمبادئ التالية من أجل أيصال أفضل طريقة تكون ملاءمة لهم.

١- يجب أن يتعرف الأطفال على القرآن باعتباره كتابًا مقدسًا. ولهذا الغرض يجب تعليمهم أنماط احترام القرآن، على سبيل المثال نصحهم بالطهارة والوضوء قبل قراءة القرآن الكريم والتمعن عند قراءة الآيات والسور والاهتمام بتفسير الآيات.

٢- يجب أن يتم تلقينهم وتعليمهم المعرفة القرآنية بشكل تدريجي وبأدب، ومن المناسب البدء بهذا العمل في المرحلة الأولى من خلال القصص القرآنية القصيرة، ومتابعة كيف يؤثر هذا البرنامج بهم.

٣- نشر المبادئ القرآنية الجميلة والممتعة لدى الأطفال وفق جدول زمني وفي الأوقات المناسبة، وبالأسلوب الذي يؤثر فيهم وتنجذب له نفوسهم.

٤- ينبغي تعليم القرآن للأطفال باعتباره كتاب لنجاة الأمة من محن وابتلاءات هذه الحياة عن طريق الاستفادة من الأمثال القرآنية والآيات القصيرة، وينبغي تقديم القرآن كمثال وقائد وخطة موثوقة من أجل حياة طيبة وسعيدة، وتكرار هذا البرنامج مع الأطفال في البيت وخارجه.

٥- هناك نقطة أخرى يجب مراعاتها في سياق التهذيب القرآني للأطفال وهي التودد والتواصل من قبل الآباء وكبار السن في حياتهم ومجتمعهم وتواصلهم الاجتماعي مع بعضهم البعض، مما له تأثير من حيث القدوة، ويبني لهم علاقة بارتباطهم بالأطفال في القرآن الكريم.

٦- ينبغي مراعاة بعض الأمور في مجال تعليم الأطفال للقرآن، وهي أن يكون نمط التعليم بطريقة تجعل الأطفال يفكرون في الرسائل والموضوعات التي يرسلها القرآن، بصورة سليمة لها أساس من الصحة والواقعية وتتناسب مع العقل والعلم، لا أن تتسبب في انهيار قناعاتهم بسبب عدم وجود أسس عقلية.

ومن خلال ذكرنا لبعض من هذه النقاط المهمة في مجال التربية، يكون قد اتضح لنا أن المنهاج الديني له نمط مختلف عن المناهج الأخرى، فلقد بين لنا القران الكريم أهميته في تربية الأطفال من خلال القصص القرآنية، التي ظهرت فيها مجموعة كبيرة من التوصيات الفريدة من نوعها، والتي عن طريقها ترشدنا إلى طريق الصواب والاستفادة قدر الإمكان من القصص والهداية عن طريقها.

لطائف العدد

التعامل مع الأخبار المهمة

يحتاج الإنسان في الحياة العملية إلى أن يتم علمه بما يدور من حوله وما يشهده من خير وشر وضرر ونفع إلى الاستماع للآخرين وأخذ الأخبار منهم، وهنا يلزم عليه الحذر والحيطة من هذا الأمر في هذه الحالة، وهو ما أكّدته الآية المباركة بقوله تبارك وتعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِينَ﴾[1]، فلنقف عند تفسيرها كما ورد في كتاب مجمع البيان للعلامة الطباطبائي:

الفاسق -كما قيل-الخارج عن الطاعة إلى المعصية، والنبأ الخبر العظيم الشأن، والتبيّن والاستبانة والإبانة -على ما في الصحاح- بمعنىً واحدٍ وهي تتعدى ولا تتعدى، فإذا تعدت كانت بمعنى الإيضاح والإظهار يقال: تبينت الأمر واستبنته وأبنته، أي أوضحته وأظهرته، وإذا لزمت كانت بمعنى الاتضاح

١ـ سورة الحجرات، الآية: ٦.

وقفة بلاغية

تتجلى مظاهر البلاغة القرآنية في أروع صورها في الكثير من النصوص المباركة التي إن دلّت على شيءٍ، فإنها تدلّ على فصاحة مفرداته ومتانة نظمه وحسن بيانه، ومن تلك الصور البلاغية ما ورد في الآيات الآتية:

❁ ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[1] سِنَة: تسمى مقدمة النوم.

❁ ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾[2] نُعاس: يسمى بداية النوم.

❁ ﴿كَانُواْ قَلِيلا مِّنَ ٱلَّيلِ مَا يَهجَعُونَ﴾[3] هجوع: يسمى النوم المتقطع.

❁ ﴿وَتَحسَبُهُم أَيقَاظا وَهُم رُقُود﴾[4] رقود: يسمى النوم الطويل.

❁ ﴿أَو هُم قَآئِلُونَ﴾[5] قيلولة: تسمى النوم في النهار.

١ـ سورة البَقَرَة: الآية: ٢٥٥.
٢ـ سورة الأنفال : الآية: ١١.
٣ـ سورة الذّاريات : الآية: ١٧.
٤ـ سورة الكَهف : الآية: ١٨.
٥ـ سورة الأعراف : الآية: ٤.

ومضة تفسيرية

الرجوع في الآخرة

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوفَ يُحَاسَبُ حِسَابا يَسِيرا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهلِهِۦ مَسرُورا * وَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهرِهِۦ * فَسَوفَ يَدعُواْ ثُبُورا وَيَصلَىٰ سَعِيرا * إِنَّهُۥ كَانَ فِى أَهلِهِۦ مَسرُورا﴾.

هناك فرقٌ كبيرٌ بين رجوع المؤمن إلى أهله يوم القيامة وبين رجوع غيره، فالمؤمن يرجع إلى أهله ليعيش معهم أبد الآبدين في سرور وحبور ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾، سواءً فسّرنا ذلك بأزواجه من الحور العين المنتظرات لقدومه، أو بزوجته وأولاده الذين يلحقون به في الجنة، أو بالمؤمنين الصالحين من قرنائه، فإنهم في حكم أهله لسنخية الإيمان.

وهذا كله بخلاف سرور الكافر، فإنه سرور تصرّم في الدنيا وأعقبه حزن دائم، وذلك لمفارقته لمَن كان مسروراً فيهم حيث أسلموه لنفسه، فما الفائدة في أنه ﴿كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾ أو ﴿كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بصيغة الماضي، والحال أنّه الآن ـ أي الكافر ـ ﴿يَصْلى سَعِيراً﴾ بصيغة المضارع داعياً على نفسه بالويل والهلاك ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُوراً﴾[1].

المصدر : موقع السراج في الطريق الى الله (بتصرف)

١ـ سورة الانشقاق، الآيات(١٠-١٣).

والظهور يقال: أبان الأمر واستبان وتبين أي اتضح وظهر.

ومعنى الآية: يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بخبر ذي شأن فتبينوا خبره بالبحث والفحص للوقوف على حقيقته حذر أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصيروا نادمين على ما فعلتم بهم.

وقد أمضى الله سبحانه في هذه الآية أصل العمل بالخبر وهو من الأصول العقلائية التي يبتني عليه أساس الحياة الاجتماعية الإنسانية.

وأمر بالتبين في خبر الفاسق وهو في معنى النهي عن العمل بخبره.

وحقيقته الكشف عن عدم اعتبار حجيته وهذا أيضاً كالإمضاء لما بني عليه العقلاء من عدم حجية الخبر الذي لا يوثق بمن يخبر به وعدم ترتيب الأثر على خبره[٢].

٢- تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج ١٨ ص٣١١.

تأويل آية

﴿وَٱلنَّجمِ إِذَا هَوَىٰ﴾

كثيرة هي الآيات التي اختصّ بها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وبيّنت فضله ومنزلته وخصائصه ومكارم أخلاقه ووجوب طاعته، فقد عبّر عن ذلك حبر الأُمّة عبد الله بن عباس بقوله: (ما نزل في أحدٍ من كتاب الله تعالى ما نزل في عليّ عليه السلام)[١].

ولعلّ من أبرز ما روى عن ابن عباس في هذا الشأن، أنه قال: (صليت العشاء الآخرة ذات ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وآله فلما سلّم أقبل علينا بوجهه ثم قال: إنه سينقضّ كوكب من السماء مع طلوع الفجر في دار أحدكم، فمن سقط ذلك الكوكب في داره فهو وصيي وخليفتي والإمام (عليكم) بعدي.

فلما كان قرب الفجر جلس كل واحد منّا في داره ينتظر سقوط النجم وكان أطمع القوم في ذلك أبي (العباس بن عبد المطلب) فلما طلع الفجر انقضّ الكوكب من الهواء فسقط في دار علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي والذي بعثني بالنبوة لقد وجبت لك الوصية والإمام والخلافة بعدي.

فقال المنافقون: (عبد الله بن أبي وأصحابه): لقد ضلّ محمد في محبته لابن عمه وغوى وما ينطق في شأنه إلا بالهوى فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلنَّجمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ * إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ - يقول الله عز وجل : خالق النجم إذا هوى ما ضلّ صاحبكم في محبة علي بن أبي طالب - وما غوى وما ينطق عن الهوى - يعني في شأنه - إن هو إلا وحي يوحى)[٢].

١- البحار، العلامة المجلسي، ج٣٦ ص١١٧.

٢- تأويل الآيات الظاهرة، الأستر آبادي، ج ٢ ص ١٨٦.

هل تعلم

أن السور القرآنية التي يطلق عليها (الطواسين) هي ثلاث سور وهي: سورة الشعراء، وسورة النمل، وسورة القصص. وأطلق هذا الاسم عليهم لأن السورتين الأوليين تبتدئان بالحروف (طسم)، والأخيرة تبدأ بالحرفين (طس).

وساطة فيض
بين
الحق والخلق

عليهما السلام

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

المؤتمر العلمي السنوي الدولي الثالث عشر

The 13th Annual International Scientific Conference

المهرجان السنوي الدولي العاشر للشعر العربي

Tenth International Annual Arabic Poetry Festival

معرض الكتاب السنوي الدولي العاشر

Tenth International Annual Book Fair